14 me Année No. 656

Lundi —28—1—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٥٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٤ صفر سنة ١٣٦٥ — ٢٨ يناير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

بين شيخ وشاب :

حوار ســـياسى

فى مجلس من مجالس الرأى يندو إليه صحابة من أحرار الفكر قد اطمأنوا فى حياتهم الوديعة إلى قسمة القدر بعد أن اضطربوا فى المكاسب ، وتقلبوا فى المناصب ، وتمرسوا بالأمور ، وبلغوا غاية المقدور لهم من مطالب العيش ومآرب النفس ؛ فهم يمثلون الرأى الصريح ، ويستعملون المنطق الخالص ، ويرفعون أنفسهم فوق الأوضاع والأطماع والسياسة ، فلا تقيدهم وظيفة ، ولا تعبّدهم شهوة ، ولا يقودهم حزب ؛ فى هذا المجلس تُستعرض كل ليلة أخبار اليوم وأقوال القوم ، فتوزن بالميزان القسط ، وتنقد بالنظر الثاقب ، فلا يورَد خبر أو قول إلا حاكه رأى ، ولا رأى إلا هاجه اعتراض ، ولا اعتراض إلا ساوره شبهة .

وأكثر السامرين فى هذا المجلس من الكُنتيين ، فكثيراً ما تسمع كنتُ وكنتُ ، وقليلا ما تسمع سأكون وأكون ؛ لذلك كان التشاؤم الذى تقتضيه ذكرى الماضى ، غالباً فيه على التفاؤل الذى يستوحيه رجاء المستقبل ! والشباب الذين يختلفون إليه يهولهم منه عُرى الحقيقة وجفاء الواقع ، فيستحبون عليهما توشية الأحلام وتزوير المنى ، ليستديموا لأنفسهم بواعث النشاط وحوافز الأمل :

وفى إحدى الجلسات الأخيرة جرى بين شاب من هؤلاء وشيخ من أولئك هذا الحوار نسوقه إليك على سرده تصويراً لروح هذا المجلس :

الشاب : وما ذنبنا فى هذا الضعف الذى نعانيه ؟ أيستطيع قصير القامة أن يطول ، ورخو العظام أن يصلب ؟ .

الشيخ : أما الضعف الناشئ عن قلة العدد وضيق الرقعة فلا حيلة لنا فيه ؛ وأما الضعف الناشئ من سوء الخلق وقلة العلم فلا عذر لنا منه . والناس يقوَّمون بالأرواح لا بالأجساد ، ويقدَّرون بالصفات لا بالأعداد . فلو كان الشرقيون قد بلغوا ما بلغ الغربيون من المدنية والثقافة ، لاستحيا هؤلاء أن يعاملوهم كما يعاملون الأرقاء ، وأن يساوموهم كما يساومون الأشياء !

الشاب : وهل يمنعنا هذا الضعف العارض من أن نطلب الحق ونغضب له ونفاوض فيه ؟

الشيخ : وهل تطلب حقك من غاصبيه إلا بإحدى وسيلتين : وسيلة القوة وليس لك جيش ، ووسيلة المنطق وليس عندك سياسة ؟ إن طلب الحق على هذه الحال استجداء ؛ والمستجدى يسأل ولا يفاوض ، ويقبل ولا يعارض !

الشاب : إن الضعيف يستطيع أن يخدش إذا لم يستطع أن يبطش . والخدش فى وجه القوى عيب يهمه ألا يكون

على أن القوة ستحققها الجامعة العربية . ومن حبات الرمل يكون الجبل ، ومن قطرات المطر يكون النهر . واستعباد الفرقة المتحدة عسير ؛ وازدراد الكتلة الضخمة أعسر . ومتى تيسرت

القوة للقادة ، تيسرت الحجة للساسة .

الشيخ : إن الجامعة العربية من وحى الخصم وتدبيره . ولو كان (إيدن) يخشاها لما أوحاها . والعبرة ليست بالعدد كما قلت لك ؛ فإن فى الهند وفى جزر الهنـد كية ، ولـكن فى انجلترة وهولندة كيفية . ومايستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور!

على أن العرب تيقظوا متأخرين . تيقظوا فى عصر الذرة ، ولو أنهم استيقظوا فى عصر الفحم لوجدوا مسافة تخلفهم عن الغربيين فيه تبلغ قرناً أو نزيد .

الشاب : وماذا يضير لو كانت الجامعة العربية من وحى الخصم وتدبيره ما دام يومها لغدنا وأمرها بيدنا وقوتها بنا وخيرها لنا ؟ وهل يقدح فى ملـكيتك لبيتك أو يمنع من انتفاعك به أن يعاونك صديق على بنائه ليستند إلى جداره ، أو يفىء إلى ظله وهو فى الطريق إلى داره ؟

على أن الإنجليز أكيس من أن يناصبوا العرب العداء ، فإن البلاد العربية إذا عادتهم يكون موقعها من ملـكوتهم موقع الغصة فى الحلق والخثرة فى الدم ، هذه تقف القلب وتلك تكظم النفس : وما كان أيسر الغصة وأهون الخثرة لولا أنهما اعترضتا طريق الحياة ! ونشوب العظم فى حلقك يؤذيك وقد يرديك ، ولـكنك لا تتخلص منه بالرصاص إلا إذا تخلصت من نفسك !

ذلك إلى أن الخلاف بين الدول العظمى على استعمار الشرق يقبض عنان كل دولة عن الافتيات بالأمر والجنوح إلى القوة . ولو صح أن روسيا وفرنسا تسيران وحيًّا فى طريق الـكشف عن القنبلة الذرية ، لـكان من أمل الأمم الضعيفة أن تجداها حتى يصبح التهديد بها عبثاً لا يجدى ولغواً لا يفيد !

الشيخ : أوافقك على أن موقع البلاد العربية يملك على انجلترة الحياة والموت ، وأن الخلاف بين الدول المستعمرة يفوّت على كل منها الانفراد بالرأى والحكم ، وأن شيوع الطاقة الذرية يُبطل الركون إلى القوة فى تسويغ العدوان والظلم ؛ ولـكن مَن مِن الساسة الذين تراهم اليوم يتبوأون كراسى الحكم فى دول العروبة يستطيع أن يستغل هذه الأسباب لفائدة مصر ومنفعة العرب ؟ إن أكثرهم يحترفون السياسة من غير أداة ولا آلة . وإن وثوب من يثب منهم إلى الحكم أو بقاءه فيه ، إنما يعتمد على ذرائع طبيعية ليس منها على كل حال براعة الذهن ولا نبالة الفرع ولا إرادة الشعب . وأمثال هذه (الـكفايات) التى أقامتها المصادفة والحظوظ على أسناد من الدعاية والخداع والتمليق والتفريق والمحاباة والتساهل لا يمكنها أن تزاول الإصلاح لأنها صنيعة الفساد ولا أن تصاول القوة لأنها وليدة الضعف ، فقصارى أمرها تصانع ولا تصنع ، وتقول ولا تعمل ، وتدور ولا تسير . وما بقى الرجل الذى يخلقه الله للاصلاح ويرسله بالهدى ويؤيده بالخلق لا يزال وراء الغيب ، فإن الأمل فى وحدة العرب ونهضة الشرق يظل أوهن من خيال الهباء وأبعد من أشباح الوهم ! وإنى لأجهد النظر والفكر وأنقصاهما فى الأفق الناءم البعيد فلا أتبين لظهور هذا الرجل المنتظر شرطاً ولا علامة .

الشاب : أراك أسقطت الشباب من حسابك ، كأنهم ليسوا أحرياء بحمل الشعلة وهم ثمار جهد طويل بذلته الأمة فى تنشئتهم وتثقيفهم ؛ فهل كانت الشهادات المختلفة الدرجات والغايات والألقاب الممنوحة من المعاهد والجامعات ، دلائل على الجهل وعناوين للأمية ؟

الشيخ : إن الأبناء أشبه بآبائهم من الليلة بالليلة . وإن الدار والمدرسة على حالها الحاضرة لتعجزان عن تخريج طبقة من الشباب يخرج منها ذلك الرجل الموعود الذى تموت (أنا) فى نفسه وتحيا فى ضميره ، ويتحد فى ذهنه وجود ذاته بوجود شعبه ؛ فلا يحس إلا لأنه مجتمع شعوره ، ويدرك نقصه لأنه مجتلى عقله ويملك قياده لأنه مظهر إرادته ؛ ثم يرتفع بسمو نفسه ونزاهة هواه عن أوزار الناس وأقذار الأرض ، فلا يطمع لأن غرضه أبعد من الدنيا ، ولا يحقد لأن همه أرفع من العداوة ، ولا يحابى لأن فضله أوسع من العصبية ، ولا يقول قولا أو يعمل عملا إلا إذا وافق الدين الذى يعتقده ، والمبدأ الذى يؤيده ، والشعب الذى يقوده .

الشاب : إنك يا سيدى تسرف فى التشاؤم لأنك شيخ !

الشيخ : وإنك يا بنى تسرف فى التفاؤل لأنك شاب ولعل الحق أن يكون بينى وبينك !

أحمد حسن الزيات

في إرشـــاد الأريب
إلى معرفة الاديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢٤ —

ج ١٤ ص ٨٤ : قال (على بن عيسى الرَّبَعى : أخرج إلىّ عضد الدولة بيده مجلدا بأدم مبطناً بديباج أخضر مذهباً مفصولا بالذهب بخط أحسنَ ، فيه شعر مدَبَّر وحسن ليس له معنى، فقال لى كيف ترى هذا الشعر ؟ فقلت : شعر مدَبَّر والذى قاله خرب البيت ، مسود الوجه . ثم يمضى على ذلك زمان ودخلت إليه ، فأومأ إلى خادم وقال له : امض إلى مرقدنا وجئنا بشعرنا ، فمضى وجاء بالمجلد بعينه ، وهو هو ، فأبلست ، فقال : كيف تراه ؟ وتلجلج لسانى وربا فى فمى فقلت : حسنا جيدا .

قلت : (بخط حسن أو محسَّن) .

(فيه شعرٌ مدْبِر ليس له معنى) أو (شعرٌ مُدْبِرٌ)

(فقلت شعر مدبر والذى قاله خرب البيت) .

ومدبر متأخر متخلف ، والأدبار نقيض الاقبال وأدبر أمر القوم : ولى لفساد كما فى اللسان .

ويظهر من خبر رواه أبو البركات الانبارى فى (نزهة الالباء فى طبقات الأدباء) ص ٤١٥ أن الربعى كان يستعمل هذا الوصف — أعنى مدبرا — لكل ضعيف متأخر فى صناعته ، قال :

كان (الربعى) مبتلى بقتل الكلاب ، فيحكى أنه اجتمع هو وأبو الفتح بن جنى يمشيان فى موضع ، فاجتازا على باب خربة ، فرأى فيها كلبا ، فقال لابن جنى : قف على الباب ، ودخل فلما رآه الكلب يريد أن يقتله هرب ، ولم يقدر ابن جنى على منعه ، فقال له الربعى : ويلك يا ابن جنى ! مدبر فى النحو ، ومدبر فى قتل الكلاب ...

قلت : قول الربعى لابن جنى — وهو يداعبه — مدبر فى النحو — طرفة الطرف ، وياليت أنه قال مدبر فى التصريف حتى يجىء كلامه أعجوبة ...

فى يتيمة الدهر للثعالبى :

كان (عضد الدولة) على ما مُكن له فى الأرض ، وجُعل إليه من أزمة البسط والقبض ، وخُص به من رفعة الشأن ، وأوتى من سعة السلطان يتفرغ للأدب ، ويتشاغل بالكتب ، ويؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الأمراء ، ويقول شعرا كثيرا يخرج منه ما هو من شرط هذا الكتاب من الملح والنكت .

فى نزهة الألباء فى طبقات الأدباء :

يحكى أن أبا على (الفارسى) لما صنف كتاب (الإيضاح) لعضد الدولة وأتاه به ، قال له عضد الدولة : هذا الذى صنفته يصلح للصبيان ، فصنف له (التكملة) بعد ذلك . ولو صدر هذا الكلام من بعض أئمة النحويين لكان كبيرا فكيف من بعض الملوك ؟

فى وفيات الأعيان :

وهو (عضد الدولة) أول من خوطب بالملك فى الإسلام ، وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة ، وكان فاضلا محبا للفضلاء مشاركا فى عدة فنون .

فى شرح النهج لابن أبى الحديد :

قال بعضهم دخلت على عضد الدولة فوجدت فى وجهه ألف عين ، وألف فم ، وألف أذن ...

فى الإيجاز والإعجاز للثعالبى :

كان عضد الدولة يقول : الدنيا أضيق من أن تسع ملكين .

يقول أبو بكر الخوارزمى فى عضد الدولة :

ختمت بك العجم الملوك وراجمت
بك تاج ملكهم القديم المبهج
لم يفقدوا بك أردشير وإنما فقدوا نفيسة دينه المستمسج

وفيه يقول المتنبى :

أروض الناس من ترب وخوف وأرض أبى شجاع من أمان
تذم على اللصوص لكل تجر وتضمن للصوارم كل جان
إذا طلبت ودائعهم ثقات دُفعن إلى المحانى والرعان
فباتت فوقهن بلا صحاب تصيح بمن يمر أما تراني ؟ !
رقاه كل أبيض مشرق لكل أصم صعل أفعوان
حمى أطراف فارس شمَّرى يحض على التباقى بالتفانى
فلو طرحت قلوب العشق فيها لما خافت من الحدق الحسان[1]

(١) قلت : هذا البيت ذو معنى عجيب .

دان له شرقها ومغربها ونفسه تستقل دنياها
تجمعت فى فؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداها
فان أنى حظها بأزمنة أوسع من ذا الزمان أبداها

فى كتاب الفَرْق بين الفِرَق :

... كان أبو شجاع فناخسرو بن بويه قد تأهب لقصد مصر وانتزاعها من أيدى الباطنية (يعنى العبيديين) وكتب على أعلامه السود : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، الطائع لله أمير المؤمنين ، ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين . فلما أخرج مضاربه للخروج إلى مصر عاقصه (فاجأه) الأجل فقضى لسبيله .

فى كتاب تجارب الأمم لمسكويه :

وفى سنة ٣٦٩ دبر عضد الدولة أن يقع بينه وبين الطائع لله وصلة بابنته الكبرى ، ففعل ذلك ، وعقد العقد بحضرة الطائع لله وبمشهد من أعيان الدولة والقضاة على صداق مئة ألف دينار ، وبُنى الأمر فيه على أن يرزق ولدا ذكرا منها فيولى العهد ، وتصير الخلافة فى بيت بنى بويه ، ويصير الملك والخلافة مشتملين على الدولة الديلمية ... !!!

قلت : وهذه الخلافة لم يبق لها قبل أن ينوى القوم سلبها إلا الاسم . قال البيرونى فى (الآثار الباقية عن القرون الخالية) : إن الملك قد انتقل فى آخر أيام المستكفى من آل العباس إلى آل بويه ، والذى بقى فى أيدى العباسيين إنما هو أمر دينى اعتقادى لا ملك دنياوى كالرأس الجالوت عند اليهود من أمر الرئاسة الدينية من غير ملك ولا دولة ، فالقائم من ولد العباس الآن إنما هو رئيس الإسلام ...

* * *

ج ١٢ ص ٩٢ :

تحب أو تُدرع أو تأبى فـــلا والله لا ازداد حبا
أخذت ببعض حبك كل قلبى فان رمت المزيد فهات قلبا

وجاء فى شرح (تأبى) : كانت فى الأصل تقبأ فأصلحناه إلى ما ذكر للمناسبة والألف للاطلاق .

قلت : قال ابن خلكان فى (وفيات الأعيان) :

أخبرنى بعض الأفاضل بمدينة إربل فى سنة (٦٢٥) قال : كنت ببغداد فى سنة (٦٢٠) بالمدرسة النظامية فقمدت يوما على بابها إلى جانب أبى الدر (ياقوت بن عبد الله الرومى الملقب مهذب الدين) ونحن نتذاكر الأدب إذ جاء شيخ ضعيف القوى والحل يتوكأ على عصا فجلس قريبا منا ، فقال لى أبو الدر : أتعرف هذ فقلت : لا ، فقال : هذا مملوك حيص بيص الذى يقول فيه :

تشرب (١) أو تقمص أو تقبا فلن ترداد عندى قط حبا
تملك بعض حبك كل قلبى فان ترد الزيادة هات قلبا (٢)

فجعلت أنظر إليه ، وأفكر فيما كان عليه ، وما آل حاله إلي

قلت : (تشربش) لبس ثوبا ذا شرابيش . فى التاج الشربش كجعفر : هدب الثوب جمعه شرابيش .

فى (المعرب) للجواليقى : القبـاء قال بعضهم هو فار معرب ، وقيل : هو عربى ،واشتقاقه من القبو وهو الجمع والض وفى التاج : قال القاضى الماقى : هو (القباء) من ملابس الأعا فى الأغلب ، ومن قال إنه عربى فاما لما فيه من الاجتماع ، و لجمعه وضمه إياه عند لبسه ج أقبية ، وقبّى الثوب : جعل قباء وتقبّاه لبسه .

فى الفائق : كعب رحمه الله تعالى : أول من لبس القباء سلي ابن داود (عليهما السلام) فكان إذا أدخل رأسه الثياب كنص الشياطين أى حركت أنوفها استهزاء به ، يقال : كنص فلان وجه صاحبه .

---

(١) (قط) ذكرحالها من قبل ، وقد يكون أصل (تحبب أو تدر تحلب أوتدرع أو تمدرع أى البس جلباباً أو مدرعة .

(٢) (هات قلباً) لم يربط الجزاء بالفاء ، يقول القسطلانى فى ش البخارى : حذف الفاء من الجزاء سائغ شائع ، ومن خص هـذا الحذ بضرورة الشعرفقد حاد عن التحقيق ، وضيق حيث لاتضييق .

إدارة البلديات العامة — مبانى

يطرح مجلس بلطيم القروى فى المناقصة العامة عملية إنشاء سلخانة قروية ببلطيم وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس نظير جنيه مصرى واحد للنسخة وقد تحدد ظهر يوم ١٦ فبراير سنة ١٩٤٦ لفتح العطاءات بديوان المجلس .

٤٧٨٩

الفكرة العربية

وحاجتها لمذهب سياسي فلسفي

تعليق على مقال

للأستاذ أحمد رمزي

أثار مقال الأستاذ عبد المنعم خلاف بعدد (الرسالة) الماضي حول الجامعة العربية وضرورة قيام فلسفة خاصة بها الكثير من الشجون ، وأحيا لي ذكرى فترات من الماضي القريب ، فرجعت إلى صفحات مطوية من مذكرات يومية وتقارير سياسية ، لألمس مرة أخرى المصاعب والمشاكل التي وقفت في طريق الفكرة العربية بمصر ، وما لقيه أنصارها من عنت ومصادمة ، وما واجه كل مؤمن بها مجاهد لأجلها من صدٍّ عنها وتحويل عن طريقها السوي .

ونعيد النظر اليوم إلى ما وصلت إليه وما حققت من أهداف ، فنفرح مع الفرحين ونتهلل ، وتمتلئ نفوسنا إيماناً من جديد وثقة وأملا في المستقبل ، ونحمد المولى جل وعلا أن ظهرت جامعة الأمم العربية كعامل مستقل من العوامل التي سيحسب لها في شؤون العالم وأموره حساب ، وذلك ما أشرنا له ونادينا به وتحملنا الكثير من الأذى في سبيل الوصول إليه .

وكلما رجعت بالبصر إلى الوراء ، وقست المراحل التي قطعت ، والعقبات التي أزيلت ، مع قصر الوقت وضعف الجهود ، ازددت يقيناً على يقين بأن نجاح الفكرة العربية بمصر ونضوجها وإيمان الناس بها : هي نفحة من نفحات الله ، وإن هذه الحركة المباركة ليست من عمل الإنسان ، بل يد الله فوق الجميع ، هي التي هيأت لها الأسباب وجمعت لها القلوب ، ودفعت بالفكرة دفعاً إلى الأمام فآمن بها جماعات من الناس ، واقتنعوا بها أفواجاً ، بعد أن كان اللائذون بها يعدّون على الأصابع .

وكان من دلائل الساعة وإرادة الله أنه ما ارتفع صوت ضدها إلا وانضم في النهاية إليها ، وما جُرِّد قلم لمحاربتها والحط من قيمها ومبادئها إلا وانطوى تحت لوائها ، وأصبح بوقاً من أبواقها ، وسيفاً من سيوفها .

فلا فضل لأحد على العروبة بمصر ، وإنما هي إرادة الله ، ولإراد لحكمه سبحانه إذا أراد شيئاً هيأ له الأسباب . هذا هو إيماني ، وتلك هي عقيدتي .

ومن الناس من يقول : إن الدفعة المصرية نحو العروبة مفتعلة وغير دائمة ولا جذور لها . ودليلهم على ذلك أنهم يردون أصولها إلى بعض عوامل السياسة الداخلية ، فهي في نظرهم تسابق بين فريقين لنيل الحظوة واقتناص الظفر واحتكار الجهاد ، وهناك آخرون ممن لا يؤمن بها قطعاً ويرى فيها شراً مستطيراً ، فهو ينفر منها على أنها ليست من صنع العرب ، وإنما هي من عمل الإنجليز تحمل طابع إيدن وختم وزارة الخارجية البريطانية ، ولا سبيل لإقناع الطرفين ، وإنك لن تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء .

كل هذا لا يعنينا بقدر حماس الجماهير للفكرة وتشبثهم بها ، وبقاء هذا الحماس حياً ملموساً واضحاً لا يعتريه هبوط أو فتور ، وإنا لنأخذ على الجماهير أنها سريعة الحماس لأخذ الفكرة والتمسك حيناً من الدهر بها ، ولكنها سريعة التسليم بخطأ هذه الفكرة إذا تأخرت عن تحقيق الأهداف العاجلة ، وأن آفة الجماهير هو سرعة الانتقال من الغضب إلى الرضا ، ومن الحماس إلى الفتور ، ثم من الفتور إلى النسيان ، فما الذي أعددناه لكل ذلك ؟

الجواب على ذلك أننا لم نعمل شيئاً ، إذ لا تزال الفكرة العربية في حاجة إلى حشد جميع القوى العليا في العقل والروح ، لتكون عنصراً ثابتاً من عناصر الشخصية المصرية المنبثقة من روح الشعب وإيمانه وتاريخه .

ولقد أحسن الأستاذ عبد المنعم خلاف صنعاً حين أثار موضوع فلسفة العروبة لما قال : « إن السياسة ليست دائماً ذات إيمان » ! إني أسلم بأن دعوته جاءت في وقتها ، فله عظيم الشكر والأجر على إثارتها ، وأدعو الله أن يوفق العاملين لتلبية هذه الدعوة ، وأن تلقى دعوة العروبة من ناحية رجال الفكر ما تستحق من عناية ، حتى تخرج لنا فلسفتها الحية التي سوف تملك النفوس والعقول معاً . وأعتقد أنه يسر إن وجد من يشاركه إحساسه ، ومن يشعر

بشموره ، فقد ورد شيء من ذلك في تقرير بعثت به إلى الحكومة المصرية قلت فيه : « إن مبادىء الحركة العربية ودوافعها لم تتبلور بعد التبلور الكافي في شكل مذهب سياسي وفلسفي ، كما أن نشاطها وأهدافها واتجاهاتها لم تأخذ بعد القالب الذي يجعل منها عاملا قائماً بذاته فيحسب له حساب في الشئون الدولية مستقلا عن العوامل الأخرى . ولكن القضية العربية عامة — برغم هذا — قد أصبحت حقيقة تاريخية لها وزنها وأهميتها بدليل تقدم الدول المحاربة وغير المحاربة لخطب ود العرب واستمالتهم والمناداة بصداقتهم ، فليس من مصلحة مصر تجاهل هذه القضية والإعراض عنها أو الوقوف إزاءها موقفاً محايداً ، خصوصاً وأن وراء مصر ثلاثة عشر قرناً من التاريخ العربي لها في حقباته وأدواره المختلفة مواقف تاريخية خالدة .

* * *

كان ذلك في ١٢ مارس سنة ١٩٤١ ، حينما أتاحت لي الظروف المساهمة بقسط ضئيل في خدمة قضية العرب ، وقد مرت الأيام سراعاً ، وحققت الفكرة بعض أهدافها السياسية وأخذت طابع العامل المستقل عن العوامل الأخرى في شئون العالم ، ولكن لم تتحقق الناحية الأولى ، وهي ظهور الفكرة كمذهب سياسي فلسفي .

فهل نؤمل أن تتبنى مصر هذه الفكرة وتخرجها كما تبنت الناحية السياسية ؟

إن أشد الناس تفاؤلا لم يكن يؤمل نجاح الفكرة العربية هذا النجاح المشاهد اليوم ، خصوصاً في مصر دون سائر البلاد العربية ، حيث استمرت عوامل الهدم والتفرقة تعمل بنشاط وحماس ضد كل ما هو عربي لسنوات عديدة بغير أن تلقى أي مقاومة ، حتى همدت الروح المصرية العربية المستمدة من عناصر الفتح وجهاد القرون الماضية . ولما كانت سنوات الحرب العالمية الثانية بمثابة فترة لا تقل في أهميتها عن نصف قرن من الزمن ، جاء تطور الأهداف السياسية وتقارب الشعوب العربية سريعاً جارفاً للدرجة لم تتمكن العقول من استيعاب وتقدير ما مر حولها من الأحداث والتغييرات الفاجئة .

ولذلك لا تستغرب أن تجد الكثير من شباب مصر يتساءلون: ما هي العروبة ؟ وما هي أهدافها ؟ كيف تكون عربياً ومصـ في نفس الوقت ؟ !

وهي أسئلة ليس من السهل الإجابة عليها ، ويصعب إقـ ذويها بالقيم العربية إذا لم تكن أفهامهم وعقولهم وآذانهم مستـ لقبولها ، خصوصاً إذا كان بعضهم يجهل التاريخ العربي جـ تاماً ولا تستهويه حلقات التاريخ المصري في العهود العربية ، يكون قد تلقى دروس الماضي على طريقة تجعله يأنف منها كـ اتصلت بالعرب وفتوحاتهم ومدنيتهم وثقافتهم وأثرهم في قـ العالم وشعوبه ، فهو مضطر : إما أن يجدد معلوماته ، وإما يترك الفكرة لغير سبب يبديه !

ونجد أن الجامعة العربية ، وقد اختارت القاهرة مركزاً لـ من أول واجباتها أن تحضر الرأي العام المصري لذلك ، وأن تهـ لهذا النشاط قسما خاصاً به ، ولن تهتم بالناحية الفكرية التي تحـ عنها لتبني بناء ثابت الأركان .

وسوف تسمع أن فريقاً من الناس يستكثر ما تصرفه ـ على الجامعة ، أو على بعثاتنا الثقافية في البلاد الشقيقة ، وأن فـ لا يفهم معنى لحفلات التعارف والتفاهم بين العرب ، وذلك نتيجة لسياسة التفكك التي فُرضت على المصريين ، والتي عـ على قطع الصلات بين حاضرهم وماضيهم ، وحصرت آمالهـ دائرة ضيقة ، مما يجعل العناصر الإنشائية في البلاد محتاجة بذل مجهود طويل لإزالة آثارها .

ونحن نؤمن بأن عناصر العروبة الكامنة في الشعب المصـ لن تفنى بعد اليوم ، بل ستخرج وهي أكثر مضاء وقوة وعـ وستحطم هذا الغشاء الصناعي الواهي الذي أحاطها به سنو الجمود وسياستها الناشئة التي أفهمته أنه أمضى آلاف السنين ر تحت أغلال العبودية ، حتى لا يتعرف على صفحات المجد كتبتها العروبة في بلاده ، ولكي يعمى عن شخصيته ومجد آ والأجداد .

* * *

لقد أوحى إلينا مقال الأستاذ عبد المنعم خلاف بهذه الكـ العابرة عن هذه الحركة التاريخية ، ونحن إذ نختتمها نؤمل يوالي هو وغيره من كتاب العرب في مصر وبقية البلدان العر

من ذكريات بغـــداد

للأستاذ علي الطنطاوي

ما الذي هاج في نفسي هذه العشية ذكر بغداد ، ونشر أمام عيني ما انطوى من ذكرياتها وما مات من أيامها ؟ ما الذي رجعني إلى تلك الليالي حتى كأني — لفرط ما تشوقت إليها ، وأوغلت في استذكارها — أعيش فيها ؟ أي سحر فيك يا بغداد جذب قلبي إليك ، فلم أنسك إذ أنا في بلدي الحبيب ، ولم أزل أحن إليك وأشتاقك ؟

بغداد ... يا بغداد ، عليك مني سلام الود والحب والوفاء ، والمعظم على الصليخ على الكرادة على الكرخ سلام الفؤاد يشوق الولهان ، على لياليناً «بين الرصافة والجسر» . ما كان أحلى تلك الليالي ! لقد كنت أشكو فيها ألم الغربة وأحن إلى الوطن ، وسرت في وطني أحن إلى تلك الغربة ولياليها ، وما ظلمني موطني ما أنكرني ، وما كنت لأذمه صادقا فكيف أذمه بما ليس فيه ، ولكنها هي الدعة ، ملتها واجتويتها : إني أشكو ألم الراحة ، فأعطوني به راحة الألم ، ذلك الألم العبقري الذي يفتح القلوب بآيات الشعر ، فاني منذ فقدته لم أعد أحس بأنني ذو قلب !

على الرستمية ... ألا تزال الرستمية جنة من جنان الأرض ، حافلة بالعاشقين وبالحور العين ، أم طاف بها طائف من هذه الحرب فجفت خمائلها وهجرها قاصدوها ؟ على الصالحية ... بروحي صالحية دمشق وصالحية بغداد . على (قهوة البطار) ، على ظبائها على جآذرها ألف سلام .

على الجسر ... ياجسر بغداد ، كم جمعت وفرقت ، ماذا رأيت وسمعت ؟ كم وصلت بين قلوب وقطعت ، أتت الصلة بين ماض لنا كان أعز من النجم وأسمى ، وآت لنا سيكون أسمى من النجم وأعز . ياجسر بغداد ، يا مربع الحب والأدب والمجد ، يا من كنت سرة الأرض ، وكنت لي مسرة القلب ، عليك مني ألف سلام .

يا ربوعاً تركت فيها قطعاً من حياتي ، وخلفت فيها بقايا من فؤادي ، ماذا صنعت بفؤادي وحياتي يا ربوع ؟ !

* * *

ويادارنا في (الأعظمية) من حل فيك بعدنا يا دار ؟ وهل صوّح لبُعدنا زهرك أم ضحكت من بعدنا الأزهار ؟ وهل حفظت آثارنا أم لقد طمست من بعدنا الآثار ؟ لقد كنت أنت مستقرّي ومثواي ، وكان إليك مفرّي من دنياي ؛ وكنت شاهدة أفراحي كلها وأتراحي ، وكنت مستودع أسراري وأخباري ، كتمتها عن الناس إلا عنك ، فهل كتمتْ سرّي هذه الجدران ؟ هل سترت ما رأت من نقائصي التي أخفيتها عن الأصدقاء والإخوان ؟

ما هذه الدنيا يا ناس ؟ هذه الدار التي كنت أفرّ إليها من رحب الحياة ، وزحمة المجتمع ، فأغلق بابها عليّ ، وأخلو فيها إلى نفسي ، فأحس أنها جزء مني ، وأنها لي وحدي ، صارت غريبة عني ، تنكرني وتجهلني كأني لست منها وليست مني وصارت لغيري ، فإذا ما جئت أطرق بابها ، رددت عنها ، أو قبلت فيها ضيفاً غريباً لا أرى إلا ما يراه الضيف ، ولا ألبث إلا ما يلبث ... لا يا سكانها ؛ ما أنا بالضيف الغريب ، إنها كانت داري ، إن لي فيها حقاً ، لي فيها ذكريات ؛ فيها من حياتي ، من أنفاسي ، من روحي !

* * *

بحاثهم ، ذلك لأن أسس الفكرة العربية وفلسفتها ستأخذ مجهود عدد كبير من المفكرين والباحثين ، ولكن أثرها سيكون عميقاً في مصر ، إذ ستعيد حتما للشعب المصري إرادته وشخصيته وتلقنه سر بعثه الحي . وسنرى كيف أن الكثير من مشاكلنا الخلقية والقومية والتي تبدو لنا مستعصية الحل ، سيسهل علينا مواجهتها في ضوء الأسس الاجتماعية التي تخاطب الوجدان والفكر ، وتحرك القلوب والمشاعر .

إن الفلسفة التي تنير طريق الفرد منا إلى غايته ، وتجعل إيماننا بفكرة العربية وحركتها السياسية وأهدافها إيماناً بصيراً مستنيراً تقود الشعوب العربية من الظلمات إلى النور ، ومن الجمود إلى الحركة ، ومن الاستكانة إلى الرفعة ، وتعلم الفرد والجماعات معنى الآية الكريمة : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » . ولمثل هذا فليعمل العاملون !

أحمد رمزي

القنصل العام السابق بسوريا ولبنان

٢٦٠٠

ودار العلوم ؟ خبروني سألتكم بحق الاخاء عن ظلال أيامي فيها . سقى الله ظلالها سَوْب الغلوب ! خبروني، الارجل كريم، يحسن إلى هـذا البعيد النأى ، فيمر بالدار عند مسجد الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، فيصعد إلى الغرفة التي تطلّ من هنا على صحن المسجد النوّر المبارك ، ومن هناك على صحن المدرسة المزهر المشرق ، فيحيي عني هذه الغرفة ، فإني سكنتها عاماً ، كان لي عام دنيا ودين ، وفيها جددت طباعي وأفكاري وكونت نفسي .

ثم ليجل عني في هذه المدرسة في حدائقها ، في صحونها ، في ممراتها ودهاليزها ، ثم ليصعد سطوحها الواسعة التي تمتد حتى تتصل بقبة المسجد ، وتشرف على تلك الحديقة العتيقة ، وتلك المقبرة المهجورة ، وعلى طريق الكاظمية ، فإن لي على هـذا السطح ذكريات ... وإنني إن أنس لا أنس يوم العيد ، وقد خلت المدرسة من ساكنيها ، فلم يبق فيها غيري ، فأوغلت في هذه السطوح ، وصعدت حتى انتهيت إلى أصل القبة ، ونظرت فإذا أنا على بحر من النخيل : تهتز قممه من تحتي كأنها الأمواج في اللجة الساكنة ، وتظهر في فُرَج النخيل طرق الفلاحين ، وقد خرجوا مع أطفالهم وأولادهم بثياب لها مثل لون الزهر ، ثم تختفي خلال الأشجار ، كشاعر سادر أو محب متغزل ، ذهب يناجي ذكريات الوصال ، ودجلة عند منعطف الصليخ تلوح بعظمتها وجلالها ، كأنها سماء من نور ركبت في الأرض ؛ وبغداد ، بلد الأساطير والأحلام ؛ يبدو طيفها على حاشية الأفق البعيد بقبابها ومآذنها ، كأنه (هو أيضاً) أسطورة ساحرة ، يقصها الأفق المشرق على الدنيا ، وإلى اليمين قباب الذهب من الكاظمية ، والقبة الخضراء التي ثوى تحتها رمس مُلك شابّ ، وشباب مليك ، حين ثوى غازي بن فيصل بن الحسين بن عليّ !

لقد لبثت مكاني حتى شملت الظلمة الكون ، وضوّأت المصابيح في شبابيك المنازل فنظرت ... إليها ، أنا الغريب المنفرد ، الذي يمضي عيده وحيداً على سطح المسجد ، لا رفيق له إلا ذكريات سعادة ولت تؤلمه وتحزّ في قلبه ذكراها ، وحبّ مات وليداً ، وفكرت في أمري لو اصابني مرض فلبثت هنا شهراً ، فمن ذا يصل إلي ؟ من يسأل عني ؟ وأي فؤاد يخفق من أجلي بعد أن سكت ذلك الفؤاد الذي كان خفاقاً بحبي ، فؤاد أمي ، إلى الأبد ؟

فنظرت إليها فهبطت أهلها إذ يغلقون أبوابهم على الشمل الجميع ، والأهل الحضور ، والأنس والسعادة .

ونزلت في طريق الحديقة العتيقة ، وإذا أنا أتعثر بحجر ، فنظرت إليه على شعاع يتحدر إليه من مصباح الشارع ، فإذا هو قبر متخلف من المقبرة التي كانت هناك في غابر الأزمان ، فامتلأت نفسي بصورة الموت ، ولم أعد ألمس في هذه الغصون المخضرة إلا الربيع الماضي الذي مات ، ولا أرى من الناس إلا قلوباً ميتة دفنت في صدور أصحابها ؛ ولا أجد تراب الأرض إلا ناساً كانوا مثلنا وماتوا ... فأكلت هذه الأشجار أجسامهم ، وشربت دماءهم ، فمنه كان زهرها الذي نشم عطره ، وغصنها الذي نأكل ثمره ... ولم أر الدنيا إلا موتاً في موت .

وأممت غرفتي وأنا غارق في بحر من الأفكار السود ، فسمعت المؤذن في صفاء الليل قوياً عذباً يومض ضياؤه في طيات الظلام ، إذ يحمل اسم الله منيراً مشرقاً ، فقمت إلى الصلاة ، فلما قضيت وخرج الناس ، رأيت المؤذن ينادي على عادته بذلك الصوت الممدود : الفاتحة ! ثم يغلق المسجد وينصرف ، وأبقى وحدي ، ليس في المسجد ولا في المدرسة غيري ، وبينهما باب من داخل ، فأعود إلى غرفتي ...

وما كاد يكتهل الليل ، حتى سمعت الصوت في المسجد كرة أخرى ، ولكنه خرج هذه المرة ضعيفاً واهياً ، في نغم حزين ، من لحن الصبا ، فنظرت من شباكي ، فإذا في أرض المسجد الذي اشتمل عليه الظلام ثلاثة مصابيح بترولية خافتة النور ، تكشف عن نفر من الناس ، لا يبدو منهم إلا أرجلهم وظلال لهم ممتدة فكأنهم الجنّ ، أو كأنه فلم مخيف من أفلام ألف ليلة ... ثم سمعت تكبيرات الجنازة ، فنزلت فرأيتهم يصلون على ميت في نعش ،

فسألت : من هذا ؟ قالوا : مؤذن المسجد !

فانصرفت لأدوّن في دفتري ماعرض لي ذلك اليوم من صور وخواطر ، ثم أضمت الدفتر ونسيت الخواطر والصور ... وأن في الدنيا موتاً ...

كذلك أمضيت يوم العيد في دار العلوم ، وإني على هذا أشتاقها وأشتهي أن ترجع لي أيامي التي مرت فيها . فيارحمة الله على أيامي في دار العلوم وعلى من بقي من أهلها السلام !

وإن أنس لا أنس (ليلة البلاط) ، ياليت ليلة البلاط تعود !

لقد رجعت أنا وأنور العشية من الأعظمية إلى بغداد ، فتركنا السيارات وجفونا الطريق الأعظم ، وسلكنا محجّة على ضفة دجلة فسرنا فيها ، وكانت تنكشف لنا تارة فنسلكها ، وتضل (طريقها ...) تارات ، فتتيه بين النخيل ، وكان النهر أبداً عن أيماننا ، يبدو حيناً بصفحته البيضاء المشرقة التي تشبه وعد الوصال ، يشرق للمحبّ في ليل الهجران ، والأمل البسام يلوح لليائس في غمرة القنوط ، ثم يحجبه عنا النخيل ويستره الظلام ، كما يخلف المحبوب بدلاله الوعد ، وتمحو الحياة بواقعها الأحلام ، وتطمس صور الأماني . وكان أنور يحدثني حديث ماضيه فيثير في نفسي عالماً من الذكر الأليمة ، كلما نزلت به في أعماق قلبي ، ودفنته في هوة النسيان ، وحسبته مات . انبعث فجأة ، كأنما ولد الساعة ، عالم فيه صور أبي وأمي وآمالي وحبي ، واستغرقنا في خواطرنا ، وغبنا عن حاضرنا ، فما نبهنا إلا جندي بحربته الممدودة إلى بطوننا وبندقيته الموجهة إلينا ، وصاح بنا : أن ارفعا أيديكما ؛ ففعلنا .

قال : ما أدخلكما حمى (بلاط الملك) ، وفيم أنذركما فلا تقفان ؟ لقد هممت أن أرميكما بالنار ! وكانت تلك هي الأوامر ، مابعد الانذار إلا النار ، فقلنا : نحن أديبان ، أرأيت أديباً نفع معه إنذار ، أو أفاد معه تخويف ، ثم إننا برمنا بالحياة ، لا نرى فيها إلا ماضياً لاسبيل إلى إرجاعه ، وأملا لا وصول إليه ، ولو أنت رميتنا لمننت علينا بميتة سهلة ، نرجو من بعدها ثواب الشهداء ، وإن الموت يا عسكري درجات ، وألوان بعضها أطيب من بعض ، وما نظنك سمعت بدعاء الأعرابي الذي سأل الله ميتة كميتة أبي خارجة ، لأن هذه الجفوة منك دلتنا على أنك لا تقرأ كتب الأدب . أفتحب أن تعرف كيف مات أبو خارجة حتى صار موته أمنيّة ؟

أكل حنيذاً ، وشرب نبيذاً ، ونام في الشمس ، فمات شبعان دفآن ريّان !

قال الجندي ، ولم يفهم منا شيئاً :

— يشنو إنتو يابه ؟

قلنا : نحن معلمون !

فضحك وأرخى سنان بندقيته ، وقال : معلمون صحيح ، أما غير مخبّلين ، (وغير هنا للتأكيد ومخبلين ، أي مجانين) ! وتركنا نمضي لأن المجنون لا يسأل ...

تلك هي ليلة البلاط ، وإني لا أذكرها إلا أسفت على هذه الميتة الحلوة التي فاتتني ، وخشيت ألا أتمكن من مثلها ، وأظن أنور آسفاً مثلي ، إلا إذا استطاب حياته بعد الزواج وتعليم البنات الأدب ... أما حياتي أنا فليس فيها لذة تستطاب ، وليس فيها ألم يستكره . أعني أنني لست إنساناً يحيا ولكن (شيئاً) يعيش !

* * *

مالي كلّ هذه الليلة ذهني ، ولم يسعفني شيطاني ؟ مالي أكتب عن بغداد ، فلا أذكر من أيامها إلا هذا الحديث التافه ، وأيام بغداد ، مواسم للمجد وأعياد ، ولياليها فرحة الفؤاد ، وأسرّة للحب ومهاد ، وماضيها مآثر ومفاخر وأمجاد ؟

مالي لا أتحدث عن دجلة ، وياطول شوقي إليها ، وإلى زوارق المحبين وهي تمضي فيها حالمة سكرى ، والأغاني تتراقص على أمواجها ضاحكة مرحى ، والسمك المسقوف . خبروني ، ألا تزال مرفوعة سقوفه . مشتعلة ناره ، أم هوت من هول الحرب الدعائم وانطفأت النار ؟

مالي لا أناجي إخواني وتلاميذي الذين عشت دهراً من عمري بهم ولهم ، وأسألهم أيذكرون هذا المعلم ... أم قد مرّ في حياتهم مرور شخص (السينما) ثم تنقضي الرواية ، ويسدل الستار ، فكأنما لا شخص مرّ بهم ، ولا (فلم) عرض عليهم ؟

أما أنا فاشهدوا يا تلاميذي ويا إخواني أني ما نسيتكم . أأنسى نجدة وعلياً ونزاراً بن البطل الشهيد ، إلا إذا نسي الأب أولاده ؟ أأنسى الأخ الأكبر (بهجة) العراق ، وقد طالما قبست الجزل من فضله ، ورأيت الفذّ من نبله ؟ ما نسيت ، ولئن كبا بي القلم الليلة ، فسأعود إلى الحديث عن بغداد ، وما كل مرة يكبو الجواد .

وعلى إخواني وتلاميذي وبغداد وأهلها سلام الله ورحمته وبركاته .

علي الطنطاوي

المدرس (سابقاً) في ثانويات بغداد والبصرة وكركوك

بمناسبة عيد الجهاد الوطني :

مراكش حية . . . !

للأستاذ عبد الكريم غلاب

في يوم ١١ يناير احتفلت مراكش بعيد جهادها الوطني ، وهو يوم يقف فيه المراكشيون خاشعين أمام قبور شهدائهم الذين صرعتهم بنادق السينغاليين ومدافع الفرنسيين . يقفون خاشعين ليتذكروا تلك الأيام السود التي حوصر فيها المراكشيون من كل صوب ، وسلط عليهم جحيم المادة ، فلم يفقدهم صوابهم ، ولم يثنهم عن عزمهم في استرجاع استقلالهم من الذين استلبوه منهم بالقوة ، فعبثوا به واستهانوا بقدسيته .. ففي مثل هذا اليوم من سنة ١٩٤٤ أعلنت الأمة المراكشية مطالبتها باستقلالها ، وقدمت لذلك مذكرة طالبت فيها بإلغاء الحماية الفرنسية على مراكش ، وبإفساح المجال أمام الشعب ليسلك سبيله في الحياة الديمقراطية الحرة ، وليتمكن من الانضمام إلى إخوانه العرب في الشرق .

ولقد كان لتقديم هذه المذكرة إلى جلالة ملك مراكش والحكومة الفرنسية وسلطات الحلفاء ، ولما صاحبه من مظاهر العزم — التي بدت من الشعب — على تحقيق هذه المطالب ؛ كان لكل ذلك أثره العميق في الدوائر الفرنسية ، فقررت أن تقمع هذه الحركة بكل ما يتاح لها من قوة ، وبكل ما يملك أبناؤها من عزيمة صارمة في الدفاع عما يسمونه امبراطوريتهم . وتقابلت القوة مع الإيمان الأعزل ، وكان من ذلك تلك المأساة المروعة التي يندى لها الضمير الإنساني الحي ، والتي برع الفرنسيون في تمثيلها مع العرب سواء في الشرق أو الغرب .

ولكن المراكشيين لم ترعهم هذه المأساة ، فقد ألفوا ذلك منذ وطئت أقدام الفرنسيين أرضهم المقدسة في سنة ١٩١٢ . فالمأساة الأخيرة ليست إلا فصلا من رواية الجهاد الوطني المراكشي الذي ابتدأ منذ ثلث قرن ، والذي سينتهي لا محالة بفوز المراكشيين ، لأنهم أصحاب حق ، ولأنهم أهل لأن ينالوا هذا الحق . لقد دافع المراكشيون عن بلادهم يوم فرضت عليهم معاهدة الحماية ، وواصلوا جهادهم في الجبال والغابات الجنوبية ، ثم ا الأمير عبد الكريم الريفي يستعيد أرض أجداده من الأسبان والفرنسيين ، وما كاد يضع سلاحه حتى قام الجهاد السلمي مم في الأحزاب والهيئات الوطنية التي انتهى بها المطاف — ر ما أصيبت به من نكبات — إلى أن تعلن مطالبة الأمة المراكش باستقلالها في ١١ يناير من سنة ١٩٤٤

هذا هو جهاد مراكش الذي يمد صراعا بين الموت والحيا وهو إن دلنا على شيء ، فإنما يدلنا على أن هذه الأمة الكريمة تموت ، لأن عناصر الحياة كلها تتدفق في دمها ، وهي كفيلة بأ تحفظ هذه الأمة من الانهيار .

وأول عنصر من عناصر الحياة في مراكش هو تاريخ الطويل في الاستقلال والحرية ، وقد تسلسلت حلقات هذا التار منذ عرفت الحياة على الأرض المراكشية ، فلم يحكم مراكش غير أبنائها الذين دافعوا عن أرضهم طوال عصور التاريخ إلى تآمرت عليهم الدول الأوربية في أوائل القرن العشرين ، وك نتيجة لذلك الاتفاق الإنجليزي المصري سنة ١٩٠٤ الذي بمقتض أطلقت انجلترا يد فرنسا في مراكش ، كما أطلقت فرنسا انجلترا في مصر . وقد أتاحت هذه المؤامرة الفرنسية الإنجليز لفرنسا أن تفرض حمايتها بالقوة على مراكش ، فخرت هذه الأ صريعة أمام قوة الفرنسيين وغدرهم وخيانتهم . وبذلك وضع لتاريخ الاستقلال في مراكش .

والعنصر الثاني من عناصر الحيوية المراكشية هو المنص الخلق ، فقد ورث هذا الشعب عن أجداده البربر والعرب الأ والكبرياء ، والدفاع عن النفس والصبر والتضحية والاستهانة بالح في سبيل كرامته ؛ وتلك صفات — ولا شك — تجعل م الشعب من أكثر الشعوب استعداداً للدفاع عن أرضه ونفس بل تجعله من أكثر الشعوب شعوراً بالكرامة وتمسكا بالاستقلال وقد أدرك هذا أولئك الذين وضعوا أسس الحماية الفرنسية — و مقدمتهم المرشال ليوطي — فحذروا فرنسا من الاستهانة بهذا العنصر الحيوي في مراكش .

والعنصر الثالث هو الدين ، فالمراكشيون من أشد الأ تمسكا بالدين الإسلامي ، وهم يدركون إلى حد كبير معنى التدخ

الأجنبي في الشؤون المراكشية ، ويفسره ابن الشعب في مراكش بأنه تدخل ينافي عقيدته ودينه ، وهو من أجل ذلك يعمل على أن يكون صحيح الإيمان سليم العقيدة . وذلك ولا شك عنصر من عناصر الحيوية في مراكش .

وعنصر آخر لا يقل عن العناصر السابقة قيمة ، وهو عنصر اللغة . فمراكش تستعمل لغة واحدة هي العربية ، وهي بذلك تتصل بماضيها العتيد ، فتستمد منه الوحي والإيمان وتتصل ببقية الشعوب العربية في الشرق التي تكافح وتجاهد في سبيل استكمال استقلالها ، وذلك من شأنه أن يجعل شعور هذه الأمم كلها واحداً نحو قضاياها الاستقلالية ، ويجعلها تسلك سبيلا واحداً نحو الهدف الأسمى . ولعل تاريخ الحركات الاستقلالية في البلاد العربية كلها يدلنا على قيمة هذا العنصر ومظهره . فاللغة العربية — إذن — هي السبيل الوحيد لاتصال مراكش بالشعوب العربية في الشرق اتصالا روحياً ومادياً .

ولسنا نعدو الحقيقة إذا قلنا : إن من أكثر الأشياء حيوية في الشعب المراكشي هو العرش . فالعرش العلوي في مراكش عتيد في التاريخ ، لأنه ناهز ثلاثة قرون كاملة . ومن أجل ذلك اتصل العرش بالشعب والشعب بالعرش ، وأصبحا يعملان معاً لخير البلاد المراكشية ومصلحتها . وهكذا نجد الشعب يتعلق بملكه المحبوب وخاصة في أوقات الفزع ، فينجده جلالة الملك ويرفع عنه عدوان المعتدين

تلك هي عناصر الحياة في مراكش ، وتلك هي الدعامات الأساسية التي تعتمد عليها في دفاعها عن استقلالها ، وقد عرف الفرنسيون خطر هذه العناصر ، فأرادوا هدمها حتى يتمكنوا من إدخال هذا الشعب تحت امبراطوريتهم . وعرف المراكشيون بدورهم نية الفرنسيين فقاوموها بكل ما يملكون من قوة . وذلك هو جوهر الصراع بين المراكشيين والفرنسيين منذ سنة ١٩١٢ . أراد الفرنسيون أن يفصلوا مراكش عن تاريخها ويهدموا خلقها ، ويحولوا بينها وبين دينها ، ويفرنسوا لغتها ، ويقطعوا ما بينها وبين الشرق العربي من صلة ، ثم أرادوا أن يفصلوا بين الشعب والعرش .

ولكن المراكشيين تشبثوا بتاريخهم وخلقهم ، ثم دافعوا عن دينهم ضد (الظهير البربري) المشئوم سنة ١٩٣٠ ، وقاوموا برامج التعليم الفرنسية التي طبقت في مراكش حتى يحتفظوا باللغة العربية كلغة رئيسية في المدارس المراكشية ، ثم هم يعملون على أن يضموا إلى الجامعة العربية ، حتى يضمنوا بذلك اتصالهم بإخوانهم العرب في الشرق . أما صلتهم بالعرش وإخلاصهم له ، فلا تزداد إلا توطداً ونمواً .

تلك خلاصة الصراع في مراكش طيلة ثلث قرن . وقد نجح المراكشيون في الاحتفاظ بعناصر الحياة فيهم ، وهم إذ يطالبون اليوم باستقلالهم ، فإنما يريدون أن يبنوه على أساس متين من التاريخ واللغة والدين والخلق . وذلك ما يجعلنا نؤمن بأن مراكش ستصل ... وأنها حية تسير — رغم ما ينتابها من نكبات — نحو الحياة الحرة الكريمة .

عبد الكريم غلاب

صدر بافتناء نسختك من :

دفاع عن البلاغة

للأستاذ

احمد حسن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ١٥ قرشاً

من محاسن التشريع الاسلامي

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

— ١٢ —

الدعوة إلى الخير

إن من أعظم مزايا الشريعة الإسلامية، وأبرز محاسنها — إرشادها إلى أعظم وسيلة لإصلاح المجتمع، وتنقيته من أدران الشر والفساد، وخير أداة لإصلاح الأفراد والجماعات، وتحقيق التضافر والتعاون الاجتماعي — تلك هي الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من فروض الكفاية، إذا قام به بعض الأمة سقط عن الباقين، وإذا لم يقم به أحد أثموا جميعاً ووقعوا في حوب كبير، ولم يكن فرض عين فلم يجب عليهم أجمعين لما ينبيء عنه قوله عز وجلّ: « وما كان المؤمنون لينفروا كافة، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون »، ولأنه من عظائم الأمور وعزائمها التي لا يضطلع بها ولا يتولاها إلا من هو أهل لها — والأهلية تتحقق بشروط: منها العلم بالأحكام، ومراتب الاحتساب، وطرق إقامة هذا الواجب، ومعرفة الأحوال المختلفة وما يناسب كل حالة، فإن من لا يعلم ذلك قد يأمر بمنكر، وينهى عن معروف، ويغلظ في مقام اللين، ويلين في موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيده الإنكار إلا تمادياً وإصراراً — كما يشترط في الوجوب التمكن من القيام به، غير أن الأمر بالمعروف يكون واجباً ومندوباً — على حسب المأمور به — أما النهي عن المنكر فهو واجب في كل حال لأن جميع ما أنكره الشرع حرام.

وإنما وجب ذلك لأن صلاح الأمة في أمر دينها ودنياها، ونفي الفساد عن الأرض، وتقليل الشرور والآثام — لا يكون إلا بأداء هذا الواجب، فإن الظالمين والمفسدين ومرتكبي الآثام إذا تركوا وشأنهم — من غير نكير — استشرى داؤهم وتفاقم شرهم، وكثر سوادهم، فتقع الأمة في بلاء عظيم وسوء لا مرد له، وتبوء بسخط من الله وعذاب، وذلك هو الخسران المبين.

والأصل في ذلك ما ورد في الكتاب والسنة من تلك النصوص التي جمعت بين القوة والكثرة في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — قال الله تعالى: « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون ».

ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — من أعظم الواجبات وأبعدها أثراً في إصلاح المجتمع — مدح الله به المؤمنات كما مدح به المؤمنين، وجعله من صفات الرجال والنساء معاً، وقرنه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وبطاعة الله ورسوله، فقال: « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ».

وجعل الله — جلت حكمته — قيام الأمة بهذا الواجب دليلاً على تمكن الخير من نفسها، ورسوخ خلق الإصلاح فيها فقال « كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »، بل أنبأنا — جل شأنه — أن من أسباب استحقاق بعض الأمم اللعنة أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه: « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون ».

وقال صلى الله عليه وسلم: « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان ». وسئل عليه صلوات الله وسلامه عن خير الناس فقال: آمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم »، بل روى عنه أنه جعل الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر خليفة الله ورسوله في الأرض، فقال: من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه، وخليفة رسوله، وخليفة كتابه ».

وقد ورد في الحديث ما يدل على أن سنة الله في الأمة التي فرطت في هذا الواجب — أن يسومها سوء العذاب، وألا يتقبل دعاء خيارها إذا سكتوا عن منكراتها، فقد روى عنه — صلوات الله وسلامه عليه: « لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم[1] ». وقال عليّ رضي الله عنه: أفضل الجهاد الأمر بالمعروف

(١) روى هذا الحديث بعبارات مختلفة لفظاً، ولكنها متحدة أو متقاربة معنى.

والنهى عن المنكر ، ومن شنئ الفاسقين وغضب الله — غضب الله له[1] » .

ولتقصيرنا فى أداء هذا الواجب — ظهر فينا الفساد الذى جنى على كثير من آدابنا الاجتماعية ، وعاداتنا المرضية ، وأخلاقنا الإسلامية ، فمتى نثوب إلى رشدنا ، وننفذ أحكام شريعتنا ؟ ! ! ومتى ينجم فينا رجال أشداء على الباطل والظلم ليحيوا ما اندثر من السنن القويم ، ويجددوا ما رثّ من حبل الدين المتين ؟!! ، اللهم جدّد عزائمنا ، وابعث فينا مشبوب الهمم لإحياء مجد الإسلام ووصاياه وأحكامه ، وهيئ لنا من أمرنا رشدا[2]

حسن أحمد الخطيب

(١) تفسير أبى السعود والبيضاوى ، وشذه : أبغضه .

(٢) جاء فى المقال السابق المنشور بالعدد ٦٥٤ من الرسالة ص٤٧ ، ٤٨ بعض الأخطاء المطبعية نصححها فيما يلى :

(أ) وعند الشافعى أقلها وهو دينار — صوابها : وعند الشافعى أقلها محدود وهو دينار .

(ب) على مخالفيه من الذمة والكتاب — صوابها : على مخالفيه من أهل الذمة والكتاب .

توماس هـــوبز

لالفرد فيبر

الأستاذ عبد الكريم الناصرى

كان توماس هوبز (١٥٨٨ — ١٦٧٩) المولود فى مالمسبرى ، من أعمال ولتشاير ، صديقاً مخلصاً لآل ستيوارت ، وكان ذا حظوة عندهم ، بفضل نفوذ تلميذه اللورد كافندس .

وقد غاب فيلسوفنا عن وطنه ثلاثة عشر عاما ، فلما عاد إليه انقطع للبحث والتأليف[1] .

غطت شهرة هوبز كمؤلف سياسى وأخلاقى — إلى حدما — على شهرته كأنطلوجى ونفسانى ؛ وبغير الحق ، فانه السابق Forerunner إلى المادية ، والنقد ، والوضعية الحديثة .

(١) جمع مؤلفاته اللاتينية والانجليزية ، ونشرها مولسورث ، Molesworth فى ١٦ مجلدا — لندن (١٨٣٩ — ١٨٤٥) .

يحد هوبز الفلسفة بأنها الاستدلال على المعلولات من العلل ، وعلى العلل من المعلولات[1] .

والتفلسف هو التفكير الصحيح ؛ ولكن التفكير معناه « أن تركب وتحلل التصورات Concepts ، أن تجمع أو تطرح ، أن تحسب وتعد . فالتفكير الصحيح إذن هو تأليف ما يجب أن يؤلف ، وتفريق ما يجب أن يفرق . ويلزم عن هذا أن الفلسفة ليس لها من موضوع سوى الأشياء القابلة للتركيب والتجزئة ، وهى « الأجسام »[2] . أما الملائكة ، والأشباح والأرواح المحض والله ، فليست بموضوعات للفكر والعلم ، ولا شأن للفلسفة بها ، وإنما هى موضوعات للدين والإيمان ، ومردها إلى اللاهوت . وبحسب انقسام الأجسام إلى أجسام طبيعية وصناعية ، وأجسام أخلاقية وسياسية ، تنقسم الفلسفة إلى : فلسفة طبيعية (المنطق ، والأنطلوجيا ، والرياضيات ، والفيزياء) وفلسفة سياسية (الأخلاق والسياسة) . والفيزياء والفلسفة الأخلاقية كلتاهما علم تجريبى ، موضوعه الأجسام ، وآلته الحس — الحس الظاهر للأول ، والحس الباطن للثانى . وليس وراء علم الملاحظة observation من معرفة حقيقية[3] .

إن هذه المقدمات تسلم هوبز إلى نظرية فى الإدراك مادية من كل جهة . فالإدراك الباطن ، الذى هو أساس حياتنا الفكرية وشرطها الأول ، ليس إلا شعورنا أو إحساسنا بفعل الدماغ . فأن تفكر think هو أن تحس feel . والمعرفة تتكون من إضافة الأحاسيس . والإحساس ، بعد ، ليس إلا حركة تحصل فى الجسم . ثم إن الذاكرة ، التى تلازم الفكر ، ليست شيئا أكثر من ديمومة الإحساس ؛ فتذكرك الشىء هو إحساسك بما سبق أن أحسست به[4] . وليس من الممكن أن تعلل الإحساسات ، على طريقة بعض القدماء ، بأنها فيوض صادرة من الأجسام ومشابهة لها . إن أشباح الأجسام هذه ، أو — على حد تعبير المدرسيين — « أنواعها المحسوسة والمعقولة » ، لا تقل

(١) De Corpore, P .2

(٢) Id, P. 6

(٣) De Corpore

(٤) يسمى هوبز الذاكرة بالخيال أو التخيل أيضا (المعرب)

بطلانا عن « الكيفيات المستورة » وأشباهها من فرضيات القرون الوسطى . وإنما الواجب أن نقول : إن الحركة البسيطة التى تثيرها الموضوعات الخارجية فى المادة المحيطة بها تنتقل إلى الدماغ بواسطة الأعصاب .

وهوبز يقرر هنا حقيقة خطيرة ، عرفها من قبل ديقريطس ، وبروتاغوراس وأرستبس ؛ وهى أن الإدراك الحسى ذاتى بالكلية فإن ما ندركه — كالضوء مثلا — ليس بموضوع خارجى ألبتة ، وإنما هو حركة أو تكيف يحدث فى المادة المخية . وليس أدل على ذلك من أننا نبصر ضوءاً إذا لُطمت العين ، إذ ليس هذا الإحساس إلا نتيجة التهيج الحاصل فى العصب البصرى . وما يصدق على الضوء بوجه عام يصدق على تعييناته المختلفة التى هى الألوان . فالحواس إذن تخدعنا حين تلقى فى روعنا أن الصوت والضوء والألوان تقوم خارج النفس . إن موضوعية الظواهر وهم خادع ، وليست صفات الأشياء غير أعراض لاحقة بكياننا ، وما من شىء موضوعى سوى الحركة التى تثير فينا هذه الأعراض ، وهى حركة الأجسام الخارجية [1] ... إن فيلسوفنا ليستدل كما استدل بعده « بركلى » ؛ بيد أن الأخير يسير بحجته إلى الم فإنه بعد أن يبدأ بمقدمات أهل الحس ، ينتهى إلى إنكار و الأجسام ، وإلى القول بالمثالية الذاتية . أما هوبز فيقف فى منتص الطريق ، لأن شيئية reality المادة عنده عقيدة لا تقبل الشك

أما النفس soul أو الروح spirit فإنه يحدها أحيانا بأ فعل الدماغ ، وأحيانا بأنها مادة أو جوهر عصبى ؛ ويقول ذلك : إنى أقصد بالروح جسما فيزيائياً يلطف عن إدراك الحواس أما الروح « اللاجسمانية » فحديث خرافة . والتوراة نف لاتذكر موجوداً من هذا القبيل . إن الإنسان لايختلف spec عن الحيوان إلا بالدرجة ، إذ كلاهما كائن جسمانى . وإذا كان من مزية advantage حقيقية على العجماوات ، فتلك هى النط إنا ، كهذه الأحياء الدنيا ، لأخيار لنا فيما نفعل ، وإنما تس شهوات لا تقاوم ؛ وليس للعقل بغير انفعال ، ولا للمبا الأخلاقية بغير جاذب مادى ، أدنى تأثير فى إرادة الإنسان ؛ و هى مدفوعة بالخيال وما يتوقعه ، وبالعواطف والانفعالا بالحب والبغض والخوف والرجاء .

نعم : « إن الفعل الإرادى هو الذى يصدر عن الإرادة ولكن الإرادة نفسها ليست « إرادية » — إنا لا سلطان

(١) السطور التالية مترجمة (باختصار) عن الفصل الأول من الباب الأول من كتاب هوبز الموسوم (بالتنين) : —

« كل فكرة من فكرنا فانما هى (تمثل) أو (بدو) لعرض من « أعراض » جسم أو موضوع خارجى فهذا الموضوع يؤثر فى حواسنا ، ومن تنوع تأثيره تنشأ أنواع التمثلات . فالاحساس إذن هو أصل جميع فكرنا وتصوراتنا .

« وعلة الاحساس هى الجسم الخارجى ، أو الموضوع ، الذى يؤثر فى عضو الحس ، إما بلا واسطة ، كالحال فى الذوق واللمس ، وإما بواسطة ، كالحال فى البصر والسمع والشم ؛ ثم إن هذا التأثير ، أو الضغط ، ينتقل بواسطة الأعصاب والأوتار والأغشية إلى الدماغ والقلب ، ويحدث فيهما مقاومة ، أوضغطاً مضاداً ، أو مجهودا ؛ وبما أن هذا المجهود موجه « نحو الخارج » . فانه يبدو كأنه مادة قائمة فى الخارج وهذا « البداء » ، أو « التوهم » هو ما يدعوه الناس إحساسا ؛ وهو بالاضافة إلى العين ضوء أو لون ، وبالاضافة إلى الأذن صوت ، وبالاضافة إلى الأنف رائحة ، وبالاضافة إلى اللسان طعم ، وبالاضافة إلى سائر البدن حرارة أو برودة أو صلابة أو ليونة ؛ وسائر الكيفيات التى نسمى شعورا أو إحساسا . وعلى ذلك فليست هذه الكيفيات والأعراض فى الموضوع نفسه ، وإنما هى حركات فى مادته ، وهو يؤثر بهذه الحركات فى آلاتنا (أعضائنا) الحسية ، على أنحاء شتى . بيد أن مايحدث فينا ، إنما هو فى الحقيقة ، جملة حركات = =إذ ليس تنتج الحركة إلا حركة وإنما تبدولنا هذه الحركات ضوء صوتاً ، على جهة التوهم فقط . وكما أننا نرى ضوءاً إذا فركت العين لطمت ، ونسمع دوياً إذا سدت الأذن ، فكذلك تثير الأجسام الخار فينا أمثال تلك الكيفيات بفعل تأثيرها الشديد ولكن غير الملحوظ . كانت الأصوات والألوان فى الموضوعات نفسها ، لما أمكن فصلها الموضوعات ، مع أن هذا ممكن ، كما هو مشاهد فى انعكاس الضوء الصوت (الصدى) ، إذ يكون الموضوع فى موضع ، وظهوره فى م آخر . وعلى ذلك فليس الحس ، فى جميع الحالات ، إلا توهما أصليا ، حركة الأشياء الخارجية ، وضغطها على عيوننا وآذاننا وآلاتنا ا الأخرى « بيد أن مدارس الفلسفة ، فى جميع ديار النصرانية ، بمقالة أخرى ، مصدرها بعض نصوص من أرسطو ، فتقول فى علة ال إن الشىء المرئى يرسل إلى كل جانب « نوعا مرئيا » ، وتقول العين « الرؤية » وتقول فى علة السمع ، إن الشىء المسموع يرسل « مسموعا » ، يدخل الأذن فيحصل السمع بل تقول فى علة « الفهم الشىء المفهوم أو المعقول يبعث « نوعا معقولا » ، فاذا ولج العقل حصل الفهم لدينا . وهذا كله كلام لا معنى له ولا محصل فيه » . المعرب

ماثيـــو أرنولد

Mathew Arnold

للأستاذ خيري حماد

— ٥ —

آراؤه السياسية:

كان أرنولد محافظا معتدلا ، ورغما عن أنه لم يرشح يوماً ما لعضوية البرلمان إلا أنه كان شديد الميل للسياسة . وقد ظهرت هذه الرغبة جلية فى السنين الأخيرة من حياته ؛ فلما نزع يده من الأمور الدينية اشتغل ببحث المسائل والمشاكل السياسية بحثا استنفد قسما كبيراً من اهتمامه ووقته . وكانت له من تجاربه فى وظيفته الحكومية حنكة سياسية يندر أن توجد فى أمثاله . ناهيك عن قدرته على استطلاع خفايا المشاكل العويصة وطريقة حلها بأسلوب منطقى محكم ، لاسيما وقد امتزج بسائر طبقات الشعب فعرف عنهم جميع صفاتهم وأخلاقهم .

ولكن أولى مهامه السياسية باءت بالفشل الذريع ، فقد عارض بكل قواه قانون الدفن . ولكن جهوده السياسية كانت خائبة فطبق هذا القانون مدة طويلة من الزمن ، وكان يرهب نتائج الحكم اللامركزى ويعارضه بكل قواه ، فجاهد فى سبيل القضاء عليه جهود الجبابرة ، ولكنه لسوء حظه فشل للمرة الثانية وباء بالخسران . ولتبرير سقوطه كتب قائلا : « لست أدعى السياسة ، ولكنى شخص عادى أبصر بهذه الحالة التى تسود البلاد . ولم يعتمد على أنصار وأحزاب منظمة ؛ بل جاهد بمفرده ليسعى فى إنالة بلاده قسطاً أوفر من المدنية[1] » .

وفى مقدمة مقالاته الإرلندية تراه يكتب : « إن دهاة القوم وكبار الساسة ليعارضون فضول رجل أديب مثلى . ولكنهم فى الحقيقة لم يعارضوه إلا عند مخالفته لآرائهم السياسية . وفى الجدال السياسى الذى حدث سنة ١٨٨٦ ، نرى كلا الطرفين من أنصار

(١) Poul Grnald, P. 153

عليها ، ولا يدلنا فيها . لكل فعل سببه الكافى . والقائلون بالاختيار يذهبون إلى أن الفعل الارادى أو الحر هو الفعل الذى وإن كان للقيام به سبب كاف ، فإنه — أى الفعل — ليس ضروريا . وتهافت هذا التعريف ظاهر لاخفاء به . فإنه إذا لم يقع حدث أو فعل ما ، فلأن سبباً كافيا لوقوعه لا يوجد . إن السبب الكافى يرادف الضرورة . والإنسان ، كسائر المخلوقات ، خاضع لقانون الضرورة ، للقدر ، أو — إن شئت — لإرادة الله ؛ والخير والشر ، بعد ، معنيان نسبيان ، فالأول يرادف الموافق أو المرضى ، والثانى يرادف المكروه أو الغير الموافق . و « المصلحة » هى الحكم الفصل فى الأخلاق وفى كل شىء . أما الخير المطلق ، والشر المطلق ، والعدالة المطلقة ، والفضيلة المطلقة ، فأوهام ابتكرها العقل اللاهوتى ، وما بعد الطبيعة . . .

إن فلسفة « هوبز » السياسية تتفق مع هذه المقدمات الأنطلوجية . فالحرية ممتنعة عنده فى ميدان السياسة ، كما هى ممتنعة فى ميدان الأخلاق ، وميدان ما بعد الطبيعة . وإنما الحق للقوة ، فى الدولة وفى حال الطبيعة على السواء . وحالة البشر الطبيعية عبارة عن « حرب الجميع (ضد) الجميع » . والدولة هى الوسيلة التى لا بد منها لوقف هذا الصراع . وهى تحمى حيوات الأفراد وأموالهم فى مقابل خضوعهم لها خضوعاً مطلقا . فما تأمر به خير ، وما تنهى عنه شر ، وإرادتها هى القانون الأعلى .

لا نريد أن نقف عند هذه النظرية التى تقول بضرورة الحكم المطلق ، والتى هى النتيجة المنطقية لمذهب المادة . وإنما نريد أن نشير — فى ختام هذا البحث — إلى أن هوبز يختلف عن بيكن فى ناحيتين هامتين : أما أولاهما فهى أنه يقول بنظام ميتافيزيقى : النظام المادى . وأما الثانية فهى أنه يعطى القياس قيمة تفوق قيمته عن بيكن . لقد أغفل هذا الأخير ، حين جعل الاستقراء المنهج الكلى ، أمرين :

١ : الدور الذى يلعبه الإستنتاج فى الرياضيات .

٢ : الدور الذى لعبه العنصر الرياضى والنظر القبلى فى مكتشفات القرن الخامس عشر . ومن هنا فإن هوبز يقف موقفاً وسطا بين مذهب التجربة الخالص ومذهب ديكارت العقلى .

(بغداد) عبد الكريم الناصرى

الوحدة والحكم الذاتى فى أرلندة يعترون بانسياب عدد من الأدباء والكتاب لحزبهم .

وكل محاولة لتبيان آرائه السياسية تعد ناقصة إذا لم تتناول عقيدته فى الحكم الذاتى لإرلنده . فقد عارض بقوة قانون الحكم الذاتى الذى صدر سنة ١٨٨٦ ، وكتب إلى جريدة التايمس مقالا يحتج فيه على السياسة الحرقاء التى يرتكبونها بسن مثل هذا القانون . وفى هذا الاحتجاج نراه يعدد المساوىء التى يرتكبها القوم فى إرلنده وطالب بازالتها والقضاء عليها . واقترح إنشاء نظام حكومى فى إرلنده يرتبط تمام الارتباط بالحكومة المركزية فى لندن .

وبهذه المحاولات العديدة التى قام بها من الناحية السياسية لم تكن كافية لإقناع القوم بشخصيته كسياسى بارع . فلم يصبح عضواً فى البرلمان ولم تكن له القوة يوما ما لإدارة دفة الإنتخاب ، ولكن عند وفاته نرى البرلمان يعلن الحداد عليه رسمياً مدة ليست بالقصيرة ، مما يدل على تأثرهم بنظرياته وآرائه التى كان لها شأن عظيم فى التأثير على أفكار القوم ، ووضعها فى الصورة التى يريدها .

وفى الحقيقة كان أرنولد حر الفكر يجاهد فى سبيل إعطاء سائر الأمم المستعمرة حريتها وخاصة إرلنده . ولكن هذه الحرية لاتعنى انفصال هذه المستعمرات انفصالا تاماً عن الحكومة المركزية ؛ بل تظل تهتدى بهديها وتستن سننها .

كتبه ومؤلفاته :

إن من الصعب علينا فى هذا المقال القصير أن نحاول تحليل جميع الكتب التى ألفها أرنولد من أدب وشعر وفلسفة ودين . ولكنى أكتفى بتحليل بعض مؤلفاته تحليلا موجزاً يظهر لنا نبوغه وعبقريته الأدبيتين . وهذه المؤلفات هى : —

١ — أمبدوكليس على جبل إتنا

ظهر هذا الكتاب سنة ١٨٥٢ يحوى بعضاً من خير القصائد التى كتبها المؤلف فقابله الجمهور بفتور شديد مما كان يدعو إلى يأس أرنولد وقنوطه لولا التشجيع الذى قابله به الشاعر روبرت براوننج المشهور . ويشتمل هذا الكتاب على قصائد عدة أهمها « أشعار الذكرى » التى قالها فى رثاء الشاعر الكبير ولم وردزورث . ومطلع قصيدته كما يلى :

« لقد دفن جيتى منذ مدة طويلة فى مدينة ويمر .

« وقد شهدت بلاد اليونان جهاد بيرون الطويل وموته

« ولكن وفاة هذا العظيم كانت منتظرة منذ مدة طويلة

« لتخمد جذوة الشعر .

« ما الذى يمكننا أن نقوله فى وصف وفاة وردزورث ؟ »

وقد أعجب براوننج بهذا الكتاب إعجاباً شديداً دعاه إلى إعادة طبعه مرة ثانية سنة ١٨٦٧ . فكلا الموضوع والأسلوب كلاسيكى جذاب . وقد وصف أرنولد أمبدوكليس وصفاً دقيقاً وأظهره بصورة فيلسوف يونانى ولد فى جزيرة صقلية فى القرن الخامس قبل الميلاد وفلسفته الباقية لدينا تدل على تصوفه وعلى حياة الأحلام التى كان يحياها .

والأغنية التى ينشد أمبدوكليس كأنه بها لا تقل عن قصيدة (ربى بن عزرا) فى القوة والخيال الشعريين فهى تحوى بعض الأبيات الرائعة كقوله :

« قد نرغب فى الحصول على الهدوء النفسى .

« ومع ذلك فإننا لا نتطلع إلى أنفسنا .

« ونحب القضاء على التعاسة والبؤس .

« بينما لا نحاول الإمتناع عن الشرور والآثام » .

وأكثر أبيات هذه القصيدة روعة هى أغنية غالسيم فى نهايتها .

« إن هذه الأمكنة لا تصلح لسكناك أيها الإله العظيم أبولو

« ولكن حيث تلتقى الجبال الغربية بصخور الشواطىء والبحار

ويتممها بقوله :

« لقد أتى أبولو قائداً .

« بفرقته الموسيقية المؤلفة من تسعة أشخاص .

« فالقائد جميل .

« وكل الأعضاء من أهل السماء » .

وجمال هذين المقطعين يتلخص فى احتوائهما على بعض الاصطلاحات الشعرية ويمتاز المقطع الأول بأسلوبه الشعرى الذى

يعد أسّاً من أسس الفن والأدب .

والقسم الثانى من هذا الكتاب يشمل على أقصوصة تريسترام والفتاتين الملقبتين بأيسو لت . وقد أحب تريسترام إحدى هاتين الفتاتين ولكنه اضطر إلى الزواج من الفتاة الأخرى : ولم يكن أرنولد موفقاً جداً فى سرد هذه القصة لأنه لم يتمها ولكنه جاء بها بطريقة جذابة . وبعض أبياتها لا يسعنا إلا ترادها لنشبع شهوتنا باللذة التى تجنيها منها :

« إن صوتها ليعلو على الضوضاء فيصل إلى أذنى .

« وأرى لألاءها من خلال الرماح المتشابكة .

« فتظهر ميتة تحت غطاء الشباب والعنفوان » .

وليس من المستحسن قراءة هذه القصيدة للقصة التى تحكيها . فهى أشهر من أن تقرأ فى مثل هذا الشعر الذى لا يظهرها بل يحافظ على غموضها وإبهامها . ولكنها تقرأ فى نفسها لهذه الأبيات الرائعة التى لا يمكن نكران قوتها وعذوبة أسلوبها .

٢ — رستم وسهراب

أجمع محبو أرنولد على أن هذه القصيدة من خير ما نظمه الشاعر . وقد ظهرت لأول مرة سنة ١٨٥٣ تحمل بين ثناياها جمالا طبيعياً مبتكراً يندر أن يوجد فى قصائده الأخرى . فهى قصة بطولة أسيوية نظمها الشاعر فى قصيدة من الشعر المرسل متبعاً فيها أسلوب الشاعر اليونانى العظيم هوميروس فى إلياذته . والقصة فى حد ذاتها رائعة ولكنها طويلة ، ولا يمكننى سردها فى هذه الرسالة لطولها . ولكنها تتلخص فى مبارزة وقعت بين والد وولده وكلاهما يجهل صاحبه . سقط الولد صريعاً فعرفه الوالد وحزن حزناً شديداً لقتله ولده . صمم على الانتحار فشجعه الولد بقوله :

« لا ترغب يا والدى فى الانتحار — يجب عليك أن تعيش .

« لأن كثيراً من الناس خلقوا للقيام بأعمال جليلة فى حياتهم

« بينما هناك كثيرون قدّر عليهم أن يعيشوا مغمورى الذكر ثم يموتون .

« وإنى لأتوسل إليك أن تقوم بجلائل الأعمال التى كنت « أتوق لعملها فتجنى نصراً آخر وفخراً فى حياتك »

يقلد أرنولد هوميروس فى سهولة وبساطة . فهذه القصيدة تحوى مشاعر خيالية رومانتيكية تعبر عنها تضحية الشاب فى سبيل القيام بجلائل الأعمال وعظائمها . فيموت فى الآونة الأخيرة التى كان يطمح فيها أن يصبح من كبار المحاربين والأبطال مقتولا بيد والده الذى يجهله ولا يعلم بوجوده .

٣ — ميروب

فى هذه الرواية التمثيلية نرى أرنولد يحاول أن يجعل من بوليفونتيس ملكا قوياً عاقلا يقوم بخير الأعمال للتكفير عن الذنوب العديدة التى ارتكبها أيام شبابه . ولم يكن أرنولد فى هذه الرواية موفقاً تمام التوفيق لأنه لم يخلق فيها شخصية تجتذب الجماهير وتأسر قلوبهم . ومع أن أسلوبها يونانى صرف إلا أن تقليده ليفوق تقليده فى رواية « الاطلانتيد فى كاليدون » أما من حيث الجمال والروعة فإن « ميروب » تقصر بكثرة عن سابقتها التى مع شذوذ أسلوبها وعدم ترتيبه تحوى روحاً فنية خالدة . فميروب جسد بلا روح وهى لا تحوى العاطفة التى تتقد فى الرواية الأخرى .

وقد نجحت الرواية نجاحا لم يكن ينتظره مؤلفها وبيعت بكثرة فى الطبقات الراقية من الأمة ، بينما طبقة العامة لم تأبه لها لعدم تفهمهم الآراء الفلسفية العديدة التى يضمنها فيها . وفى القصائد التى تحويها أبيات رائعة خالدة . ومنها هذه الأبيات :

« إن الطغاة ليجعلون من البشر رجالا حسنى الأخلاق

« أكثر مما يتظاهرون » . أو

« إن تاجك ليقضى عليك بينما لسانك ينقذك مما يحل بك »

أو الأربعة أبيات التالية :

« اسمع هذه الضوضاء التى تنبعث من الشوارع الأخرى

« واسمع ما يحدث من قتل الناس فى مثل هذه القاعات

« وهكذا تحكم أنت كما كان والدك يشاء ويهوى

« أو تحكم فتجعل من أعدائك عبيداً يخضعون لأمرك »

وجميع هذه الأبيات تخلو من القافية والوزن ، ولذا فانها عدت خشنة الأسلوب مع احتوائها لبعض الأفكار المألوفة .

هذا العالم المتغير :

هل يكشف الفيتامين عن سره؟

الأستاذ فوزى الشتوى

الفيتامين والأكسوجين :

يسجل الفيتامين فى هذه الأيام صفحة جديدة فى تاريخ الصحة البشرية وعلاج العقم الإنسانى والروماتيزم ووجع الظهر وكل ما له صلة بتليف العضلات وتصلبها . وهو يطرق اليوم واديا جديداً غير الوادى الذى عرفناه فكلنا يدرك أهمية الفيتامين للاحتفاظ بالصحة ولكننا لم نعرف السبب .

ويدور الآن بأذهان العلماء سؤال : ما هى العلاقة بين كمية الفيتامينات فى الجسم والتفاعل الأكسوجينى مع أعصابه وعضلاته ؟

ولا يجول هذا السؤال فى أذهانهم عن مجرد تخمين أو فرض خيالى ، بل تدعمه حقائق واكتشافات علمية . وله قصة طويلة بدأت عام ١٩٢٢ حين اكتشف فيتامين E . وخلاصة أن حيوانات التجارب تصاب بالشلل إذا حرمت منه . فإذا استخرجت عضلاتها الملتهبة وجدتها محرومة كقطعة من لحم البقر .

وقيست كميات الأكسوجين التى يستنشقها حيوان التجارب عضلاته فوجد أنها تتضاعف مرتين ونصفاً عن الكمية التى يستهلكها وهو فى صحته ، ومن ثم ثبت الفرض العلمى بأن فيتامين E يحفظ أنسجة الجسم من الاحتراق بالأكسوجين ويمنعه التأثير عليها . ويقصر عمل الأكسوجين على مهمته الأساسية التى نعبر عنها بالتنفس .

تأثيره على العقم :

ظن العلماء على أثر اكتشاف هذه المادة أنهم وفقوا إلى علاج يشفى حالات العقم فى الإنسان ويزيل الأسباب التى تقضى على الأجنة وهم فى بطون أمهاتهم أو بعد ولادتهم بفترة معينة واختص البحث عالم دانيمركى اسمه فويت موللر .

ولكنا لو أردنا مقارنتها مع غيرها من روائع الشعر لعدت من سقط المتاع .

٤ — مقالات فى النثر :

ظهر هذا الكتاب سنة ١٨٦٥ ويعد من أحسن مؤلفاته فى عالم النثر ؛ فهو المحور الرئيسى الذى يرتكز عليه نقده ، وتعتمد عليه شهرته . ومع قلة انتشاره بين طبقات الشعب ؛ إلا أن جهرة النقاد أعجبوا به أيما إعجاب . وقد أحدث حركة جديدة فى عالم النقد الانكليزى . فهو لم ينتقد فى كتابه هذا جهرة الكتاب ولكنه علم الآخرين كيف ينتقدون ؛ فوضع قواعد جديدة يسير عليها النقاد فى البحث والتحليل .

وفى الطبعة الثانية من كتابه هذا كتب أرنولد مقدمة قيمة يخاطب فيها جامعة أكسفورد خطابه الشهير الذى يقول فيه : « إنها بمدينة جميلة ، صفحتها بيضاء ناصعة لم تلطخها الحياة العقلية التافهة التى سادت البلاد مدة من الزمان » .

وفى هذا الكتاب وضع أرنولد بعض قواعد فى علم النقد ، منها ماهو مهم ومنها ما هو تافه .

ومن شروط النقد فى رأيه الرغبة والميل . فكل ما مرغوب حسن وقيم والعكس بالعكس . وفى هذا الكتاب يعرف مؤلفنا الشعر بقوله : « الشعر هو أحسن الطرق فى الدلالة على الأمور وأكثرها تأثيراً فى نفوس القراء » .

ومن آرائه القيمة فى عالم النقد الطريقة التى خالها أحسن الطرق فى دراسة الشعر والتفكير فيه . فقد اعتقد أن أهم مايتوجب دارس الشعر هو الفكر أو الغاية . فالفكر هو الحقيقة الراسخة التى يبنى الشعر على أساسها . ولا شك أننا بعد مدة قصيرة سننظر إلى الشعر كالوسيلة الوحيدة لتفهم الحياة ودراسة مناحيها المختلفة ؛ فبدونه لا قيمة للعلوم وسيأتى يوم عما قريب يحل فيه الشعر محل الفلسفة والأديان . فقديماً دعاه وردزورث بخلاصة روح المعرفة أو بالنتيجة المتوخاة فى عالم العلوم والمعرفة . وما العلوم والفلسفة إلا خيالات وأشباح تجول جولاتها المعهودة فى عالم المعرفة . وسيأتى يوم عما قريب تنظر فيه نحوهما نظرة المستخف المهمل فنشعر بسخافتها وقلة ما فيها من المدارك والمعلومات

(البقية فى العدد القادم)

فهمى حماد

واختار العالم ٧٤ امرأة يلدن الأطفال أصحاء ، فلا يلبثون أن يقضوا نحبهم بعد سنة أو بضعة شهور . واتبع فى علاجهن اعطاءهن مقادير وافرة من زيت الحنطة الكريه الطعم وهو أغنى مصدر لفيتامين E . ونجحت تجربته ولكن إلى حد ، فإن ٥٩ امرأة فقط تيسر لهن القدرة على ولادة أطفال أصحاء لا تتأثر حياتهم بالعوامل الخارجية . وظلت الباقيات محتفظات بسيرتهن الأولى يعانين الحمل والوضع ويرين أطفالهن فى شهورهم الأولى ثم يواريهم التراب .

وجربه العالم مراراً فكانت النتيجة واحدة ولم يصل إلى حل حاسم لجميع أطراف الموضوع بل وجد العلم سبيله إلى اتجاه آخر يؤدى إلى فكرة جديدة ، فلوحظ أن حيوانات التجارب إذا منع عنها فيتامين E تصاب بالشلل ، كما لوحظ أن نشاط الفردة فى تسلقها الأغصان يقل كلما قل نصيبها منه حتى إذا وصل النقص إلى حد معين رقدت مشلولة بدون حراك .

وكان من الطبيعى أن تشرح فإذا بعضلاتها كالصفاة تتناوبها الثقوب ، وإذا العلم يلمس ناحية من المرض المعروف بتصلب العضلات فأية علاقة بين الفيتامين وبين العضلات ؟

اتجاه جديد :

والمعروف أن تصحيح العضلات والأعصاب إن اثابتها مثل هذه الأعراض من المسائل التى يعجز الطب عن إرجاعها إلى حالتها الأولى ، فهى فى عالم العلاج بمثابة ساق يفقدها الإنسان ولن يفيد لإعادتها أية جرعة أو أى دواء ولكن فيتامين E ارسل فى العلماء بصيصاً جديداً من الضوء .

فهل آلام العضلات إنذار بنقص كيات فيتامين E ؟

إننا نسمى التهاب العضلات بأسماء مختلفة فان كانت فى الظهر سميناها لومباجو وإن كانت فى الساق سميناها روماتزما ، ومنشؤها واحد . وهى بأنواعها وأسمائها المختلفة منتشرة بين الناس .

وتوافر الدكتور شارلس ستينبرج من أمريكا على البحث فاختار ٦٠ مريضاً وغذاهم بجرعات كبيرة من فيتامين E فبرىء منهم ٥٥ من أمراضهم فى مدة تراوحت بين ثمانية أسابيع وثلاثة وثلاثين ولكن آلامهم توقفت عقب الأسبوع الأول .

من ذكريات الطفولة :

وصادف الأطباء عقبة تحول دون استخدام فيتامين E على نطاق واسع فأن الحصول عليه بالطرق الصناعية التى اكتشفت عام ١٩٣٨ كانت باهظة التكاليف فيساوى الرطل الواحد منه ٣٦٠ جنيهاً إلى أن ظهر كيماوى اسمه هكمان كان يشتغل فى تجارب تجفيف الأفلام فى مصانع كوداك . وكان يجرب إحدى طرق التجفيف فى أنبيق مفرغ من الهواء للحصول على ضغط منخفض يساعد على سرعة الغليان بدون ارتفاع كبير فى درجة الحرارة .

وفى أحد الأيام كان هكمان يسير الهوينا فى طريقه فوقف قبالة أحد الحوانيت يرقب معروضاته ، وهناك شهد زجاجات زيت كبد الحوت ، فأحس بالقيء يتولاه ، إذ ذكر طفولته حينما كانت أمه تجرعه مادته الكريهة التى عافت نفسه طعمها ورائحتها فسأل نفسه :

— لماذا لا يستخرج الفيتامين الحيوى من هذا الزيت المؤلم ؟ لماذا لم يجمعه العلماء فى أقراص صغيرة يبتلعها الإنسان فلا تتلوى أمعاؤه ؟

وشغلت الفكرة باله ، فما كاد يرى الأنبيق المفرغ من الهواء حتى طرأت على ذهنه تجربة : فلماذا لا يغلى ذلك الزيت فى الأنبيق فيتيسر له الحصول على مبتغاه دون أن يقتل فيتامينات ؟ وهرع إلى الحانوت ثانية ، فاشترى زجاجة من زيت كبد الحوت ، وعاد بها إلى أنبيقه لينفذ فكرته

ونجحت التجربة وولدت صناعة جديدة ، وافتتح مصنع كوداك فرعاً جديداً لتقطير الزيوت ، فلما أعلنت الحرب وحرمت الولايات المتحدة من حيتان النرويج وزيتها غذت المصانع الشعب بالفيتامين المستخرج من أسماك المياه الأمريكية

من مخلفات المصانع :

وتحول « هكمان » إلى فيتامين E يجرب استحضاره ، وكان هدفه الإنتاج الرخيص الهين . وكان من اليسير أن يستخرجه من زيوت الحنطة ، ولكنها كانت غالية الثمن مما يتعذر معه إنتاج الفيتامين بأثمان ميسورة للفقراء ورقيقى الحال

وفكر فى زيوت النباتات وأهمها حبوب الصويا والفول

السودانى وبذرة القطن . والمعروف أنها تحتوى على واحد فى الألف من فيتامينات E ، فلما مرت فى عمليات الحزم والضغط ، وجد أن فيتامينها قل إلى النصف ، فأين ذهب النصف الآخر ؟

ووجه همه وهم أتباعه إلى مهملات المصانع التى تستغل هذه الزيوت ، فوجد النصف الباقى قد تسرب إلى قاذوراته ومهملاته من أوراق لف ونباتات حزم . وإلى كل مكان انتقلت إليه الحبوب أو زيوتها .

ومن هذه المخلفات التى تعودت أن تلقيها المصانع (كزبالة) استخرج مادته الثمينة بتقطيرها بالأثير المفرغ ، فهبط ثمن رطل الفيتامين من ٣٦٠ جنيها إلى عشرة جنيهات . ووجد الناس وفرة من مادته كما تيسر للأطباء ومعامل التجارب ما يساعدهم على الاستمرار فى أبحاثهم

ويحتاج جسم الإنسان من هذا الفيتامين فى كل يوم إلى كمية تتراوح بين ١٠ — ٣٠ ملليجرام أى ما لا يتجاوز ثمنه بضعة مليمات

وكثير من آلام الظهر والمفاصل تنتج من تأثير أمراض أخرى ليست وحدها كفيلة بإلقاء المريض فى فراشه ، ولكن إحداثها للألم يلزم المريض الفراش شهوراً وسنين ، فكان من الباحث الرائعة أن عولج أولئك المرضى بحبوب فيتامين E فزالت آلامهم وعادوا إلى أعمالهم

ويكثر فيتامين E فى ردة القمح والخضروات ، ولاسيما أوراقها والإكثار من التغذية بها مفيد جداً للحوامل وأطفالهن . ويعد حيوياً لصحة الأعصاب والعضلات ، ولعل هذا البحث يفسر عادة المرضعات عندنا من الإكثار من أكل الفجل والجرجير .

قلم حبر لسنة كاملة :

سجلت إحدى شركات صناعة أقلام الحبر ، قلما عاديا جديدا يستطيع الكتابة فى الماء على عمق خمسين ألف قدم فلا يؤثر الماء على الحروف ولا يزيل المداد .

ويتغذى سن هذا القلم بنوع جديد من المداد يجف بمجرد ملامسته لورقة أو قطعة قماش أو أى مادة صالحة للكتابة . ويصلح خزانه لتغذية القلم مدة سنة كاملة يتغير بعدها بخزان جديد .

ولهذا القلم أهميته فى اكتشافات أعماق البحار ، فكثيرا ما كان الغواصون يفقدون حياتهم نتيجة لحوادث تحدث لهم و فى الأعماق فلا يدرى أحد ماذا حدث أو الأسرار التى رأوها فى الأعماق وبواسطته يدونون ملاحظاتهم فيستطيع زملاؤهم معرفتها

ومن الطبيعى أن فائدته قد تعم المدنيين ، فكثير من مستخدمى أقلام الحبر يتضايقون من عمليات ملئه بين يوم وآخر ، ولكن مثل هذا القلم سيوفر عليهم ملأه عاماً كاملا لا يخشون فيه نفاد مداده .

عصر الطيران يبدأ

بدأت المطارات الأمريكية تهتم بتنظيم حركة مرور الطائرات المدنية فتضع فى طرقها علامات لسير الطائرات والسيارات فالمعروف أن الطائرات تحتاج إلى طرق خاصة لهبوطها ولوضعها فى حظائرها .

وتنتظر شركات أمريكا أن يقبل شعبها على الطيران اقبالها على السيارات فيصبح لكل فردين من السكان طائرة كما هو الحال فى السيارات . وتصمم مصانع الطائرات أنواعا من ذات الراكبين ، منها يصعد عموديا وما يحتاج إلى مسافة لسيره .

وقد وضع مطار لاجارديا لافتات يديرها رجال البوليس يفعلون هج السيارات . وهذه اللافتات مؤلفة من جزئين أحدهما يأمر بسير الطائرات والآخر يوقف الطائرات ويسمح للسيارات بالمر

١٤ مليما للميل بالطائرة

وتنتج شركات الطيران البريطانية طائرات صغيرة تتسع لنقل ١٢ راكبا أو حمولة طن من البضائع ولكن عملها سيقتصر على المسافات القصيرة .

ومدى طيران هذا النوع الهوائية ٤٥٠ ميلا تسيرها بسرعة ١٠٥ ميلا فى الساعة ويتكلف مسيرها ١٤ مليما فى الميل الواحد

ويقول غواة الرحلات الجوية إن هذا النوع صالح جدا للرحلات الجوية وأعمال الكشافة لأنها مصنوعة مثل سيارات نقل كبيرة يسهل تحويلها لشتى الأغراض .

فوزى الشورى

بعد الحرب

للأستاذ كمال النجمي

لمن أربع يشجو القلوب دثورها ... تحمل أهلوها وأقوت قصورها
منازل كم باتت بأمن وغبطة ... ونازلها غاق العيون قريرها
تحيّفها الموت الوحي فأصبحت ... بلاقع تهتاج الدموعَ قبورها
نعم درست من حسنها كل لمحة ... إذا ذكرتها النفس هيج ضميرها
ولولا يد للحرب ما غيل أمنها ... ولا باعد الدُّمّار منها سرورها
سلوا: أين أوربا وما شاد أهلها ... وأين مجاليها الفساح ودورها؟
وأين رياض أثَّ منهن كرمها ... وأين دنان طاب فيها عصيرها؟
وأين صباياها الملاح سوافرا؟ ... وهل حبَّب الأقمار إلا سفورها؟
معاهدُ فيها للقلوب منازه ... أضاءت ليالها الحسان بدورها
لسرعان ما حال الردى فأداله ... كأن لم يكن ريَّ القلوب حبورها
سلوا غائل الأرباع لو يُسأل الردى ... ألم تجن موتاً إذ زهاها غرورها
تعلكها ذو القوى فأوفضت[1] ... جوارح تغتال اليمام صقورها
فأين ليوث يتقى الدهر بأسها ... إذا ما دأت هز السماك زئيرها
تباهى بها الجرمان حتى تبددت ... حزائق أسرى لا يُعدُّ غفيرها

وما العاشقون الحرب إلا عصابة
إذا مُكِّنت في الأرض فاضت شرورها

وليس الذي يستعبد الخلق بطشه ... يناج إذا ما غيظ يوماً شعورها
فهل مُبلغ عنا بني مصر عصبة ... حموا أمماً أن تُستباح ثغورها
فأنا وقد كنا لهم خير مُسعد ... إذ الحادثات الدهم طمّ نكيرها
تذكّرهم والحرب أخمد وقدها ... بما قطعوا والحرب ذاكٍ سعيرها
تذلنا لهم أمناً ومالا وأنفساً ... يجل عن الحصر القليل وفيرها
ولما دجا ليل الخطوب وأشرقت ... قناتهمُ أن يُستلان عسيرها
تعاضدنا لهم راح المونة بَرَّةً ... تعاضدهم حتى انجلى قطريرها
وإن وردت أجنادهم حوض وقعة ... فنحن لها خلف الخطوط ظهيرها
فنحناهم من قوتنا ونفوسنا ... فهم أمة جازت ونحن جسورها
فلم تنس مصر دورها إذ تقوضت ... وغيل بها ولدانُ مصرَ وحورها

(١) أوفض: أسرع.

تعاورها (الأعداء) بضعة أشهر ... ولم تك إلا الدهر طولا شهورها
طوائرُ تجتاز السماء مغيرةً ... ألا شد ما راع النفوس مغيرها
إذا زأرت هبَّ الرقود كأنما ... دعاهم إلى يوم القيامة صورها
أصابت رجالا آمنين وروّعت ... صغاراً وشيخاناً يجل وقورها
إذا قوضت من لندن بعض دورها ... على الرغم مما ذاد عنها نسورها
ففي مصر أمثال لذاك عديدة ... إذا أُنصفت لا يُستقل كثيرها
ولما سطا (روميلُ) سطوة ظافر ... وبان من الهواة[1] حيناً شفيرها
وقفنا لهم دون الحوادث وقفة ... تغنت بها أقلامهم وصريرها
وكنا لهم أعوان صدق تحاشدوا ... على المحنة الكبرى فهان خطيرها
صبرنا لها حتى تبلج فجرها ... وأذّن بالنصر المبين بشيرها

* * *

فيا حلفاء النيل أين موائق ... منمقة ألفاظها وسطورها؟
صدحتم بها فوق المنابر عذبة ... كما صدحت فوق الغصون طيورها
فكانت حداء ساقنا عذب لحنه ... كقافلة تُحدى فتدأب عيزها
فهل حان تحقيق الذي قد قطعتمُ ... وآن لمصر أن يبين مصيرها؟
ولسنا وإن كنا السِّماحَ ضيافة ... سوى أُسد غيل لا تُرام ظهورها
أتلقحها[2] حرباً عواناً إذا انجلت ... عدانا ولم يعد الأباعد خيرها
وكيف يذيق النيل أوَّلها لظى ... أليماً ويغتال الرجاء أخيرها؟
على أننا نرجو اعتدال أمورنا ... وحق لمصر أن تصح أمورها

* * *

بني مصر إن الأرض خيس ضياغم ... فهل أنتم مثل الضعاف جزورها[3]
حييتم حياة المسنتين[4] لتنصروا ... قضية قوم لا يُضام نصيرها
فها هي ذي أمنية النصر حققت ... وجلجل في سمع الوجود نضيرها
ولا رأيَ إلا أن تهبوا جماعةً ... فاصلحت دار تشظى عشيرها[5]
لنا وطن حر نريد حياته ... كما حي عملاق الدنا وصغيرها
وأنفس أحرار إذا سيمت الأذى ... رأى عسلاصابَ المنون غيورها
وإنا وإن نيأس من الشيب إذ جروا
لإحراز أسلاب يُذم حقيرها

(١) الهواة: الهوة.
(٢) ألقح الحرب: أشعلها.
(٣) الجزور: الذبح من الابل
(٤) المسنين: المجدين.
(٥) تشظى: تفرق

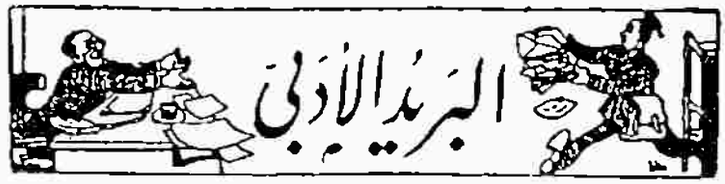

مقاطعة الصهيونية :

كان الأستاذ عادل حمزة بدير من المحامين المعروفين في دمشق وكيلا لجماعة من يهود فلسطين في قضية مهمة في محكمة الاستئناف في دمشق موضوعها ملكية قرية على حدود سورية له منها فائدة ومنفعة وأجر كبير ، فلما قررت مقاطعة الصهيونية ، رأى أنه لم يعد يجوز له السير في القضية ، فكتب إلى موكليه أنه قد عزل نفسه من الوكالة تنفيذاً لقرار الجامعة العربية وأبلغهم وجوب حضورهم بأنفسهم المحاكمة ، أو توكيل غيره ، وأنه مرجع إليهم الأجر المقدم الذي دفعوه له .

أخبرني بذلك ، فرأيت فيه مأثرة تستحق أن تنشر في الرسالة مجلة العرب ، وقدوة صالحة يقتدي بها ، فأنا أشرها وأبعث إليه بإعجابي وإكباري .

علي الطنطاوي

لقينا شباب يعجب المجد فعلهم ... هم روح مصر في الحياة ونورها
فأيه بني مصر دعتكم بلادكم ... وما غيركم من جور عاد يجيرها
سراعاً صغار النيل لبوا نداءه ... فقد خذل الأوطان ضعفاً كبيرها
وما غيركم ينتاشها من عذابها ... ويطلقها من بعد ما ضاق نيرها
فكونوا لها جيش الخلاص فإنكم ... نفوس زكت حتى أضاء طهورها
بني مصر قد حان التفات لإخوة ... تبيت من البلوى بحرّ صدورها
إذا العدل لم ينظم بني مصر كلهم ... فأقرب شيء أن يجوع فقيرها
عجبت ، وهل في مصر إلا عجائب ... إذا خطرت في نفس حر تثيرها ؟
اللصانعين الخبز واللبس كسرة ... وخرقة جلباب تهاوت ستورها
وللناعمين المترفين نعيمها ... وآكالها موفورة وحريرها
لهم بر مصر طاعمين وشهدها ... وللشعب منها فومها وشعيرها
ألا مصلح فينا فيدرأ ديمة ... إذا انبجست أعيا الجهود مطيرها

كمال النجمي

زرقة العين يمن :

نقل الأستاذ العلامة النشاشيبي (في عدد الرسالة ٦٥٥) قول الزمخشري : « إن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب ... »

والحافظ السخاوي والمحدث العجلوني يقولان : زرقة العين يمن ، ذكره في الجامع الصغير عن أبي هريرة بلفظ : الزرقة في العين يمن ، قال المناوي : أي بركة ... قال الشاعر :

وما عليك أن تكون أزرقا ... إذا تولى عقد شيء أوثقا

كما في (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني) والمقاصد الحسنة للسخاوي

محمد سنقيط

١ — النفاق في الأدب :

النفاق في الأدب يجري على سنن النفاق الاجتماعي سواء بسواء ، فكما أن الناس أسرفوا في مجاملاتهم الكلامية الكاذبة ، أسرف الأدباء في مراعاة التجمل ، ولجأوا إلى الكناية والمجاز ، واستعملوا المحسنات البديعية ليخفوا المعنى الصريح الذي يريدون .

ولا كان كذلك الأدباء في عهود الأدب الزاهرة ، وما زلنا نقع كلما شققنا كتاباً من الكتب القديمة ، على المعاني تلتمع صريحة واضحة . ولا مشاحة في أن العهود الماضية كانت عهود تماسك خلقي ، والوازع الديني أشد ما يكون أخذاً للناس في أسباب الحياة ، فإذا نزع الأدباء في هاتيك الأزمان إلى الصراحة التي نستهجنها اليوم في كتب الأدب الحديث ، فإنما يحمل ذلك على أن الكتب لم تكن متداولة قديماً إلا بين الخاصة ، فلا خطر ولا ضرر من شيوع بعض ما فيها من ألفاظ قد يأباها الذوق أو يأباها العرف .

أما الآن ، ونحن في عصر تزايل خلقي ، فلا مرية في أن الذوق لا يستسيغ كثيراً من الألفاظ كالتي استعملها الجاحظ مثلا في كتاب الحيوان أو كتاب المحاسن والأضداد ، ذلك لأن هذه الكتب أمست في متناول الناس جميعاً ، يطالعها الأستاذ ويطالعها تلميذه ، ومن ثم يكون الضرر في الشيوع .

غير أن للتاريخ حرمة ، فينبغي ألا تحل كلمة محل أخرى ، ولا تحذف لفظ ليظهر مكانه خالياً ويكتب في هامشه مثل هذه العبارة « كلمة تنافي الأدب » أو غير ذلك ، فالحذف هنا لايتفق والأمانة العلمية ، وقد يذهب القارئ مذاهب شتى في تأويل اللفظة المحذوفة ، فيجيء الضرر على حين قصد الناشر النفع .

لقد قرأنا كثيراً من الكتب القديمة التي أعيد طبعها وتصويبها فنزعنا لكثرة ما حذف منها من العبارات « النابية » أو « التي تنافي الأدب » ، فاضطررنا إلى الرجوع إلى الطبعات القديمة ممسوخة الطبع والمشوهة الحروف ، فوقعنا منها على الأصل قريب . ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا ما قلنا إننا في كثير من الأحيان لم نر نبواً ولا خروجاً على الأدب المألوف .

على أن للعلم حقه ، وهو فوق الأدب ، وفوق الذوق ، والناس يجترئون على حذف لفظ من ألفاظ القرآن الكريم أو الكتب المقدسة الأخرى ، ولايطمسون ألفاظاً في الحديث الشريف بحجة أنها لا تتسق والعصر الحديث . فحرى بالساسخين أن يبقوا على أماناتهم تلك في نشر الكتب القديمة ، وليس شيء أولى بالاتباع من الحق الصريح .

٢ — فيشر ومعجم :

قالوا : إن إدارة مجمع فؤاد الأول للغة العربية أرسلت تستفسر عن مصير المستشرق الألماني الدكتور فيشر عضو المجمع منذ نشأته

ولقد عرفنا الدكتور فيشر عن كثب يوم كان كاتب هذه السطور في عداد موظفي المجمع ، فإذا هو رجل ذرّف على السبعين ربه الشلل في فكه الأسفل ، إذا تكلم فلا يكاد يبين .

ولقد كان الدكتور فيشر أظهر الأعضاء المستشرقين ، حين عهد لوضع معجم لغوي تاريخي يبدي تحولات الألفاظ العربية خلال القرون .

ولقد نذكر أن كثيراً من اللغويين شجبوا عمل هذا المستشرق الكبير وسمعنا المرحوم الشيخ أحمد الإسكندري يقول عنه إنه عمل لا يتم ، وقال غيره متهكما إنه « مشروع نازي » !

بيد أن كل أولئك لا يذهب بجلال هذا العمل ، ولو أنه تم لكان مفخرة لمصر ولمجمعها . ولا نريد أن يصرف غياب الدكتور فيشر المجمع عن إكمال عمل يستحق الكمال .

٣ — ديوان ابن الرومي :

أصدرت وزارة المعارف قراراً بتأليف لجنة لجمع ديوان ابن الرومي ونشره مصححاً . وهذه اللجنة مؤلفة من الأساتذة : كامل كيلاني ، ومحمد شوقي أمين ، ومحمد جبر ، ومحمود لطفي .

والأديبان الأولان غنيان عن التعريف ، وأما الآخران ، فقد غلب عليهما التواضع العلمي فلا يكادان يظهران للجمهور في كتاب أو مقال . ولعل هذه هي الساعة الأولى للتعريف بفضلهما ونشر أدبهما بين الخاصة والجمهور .

وأول ما قرأنا ديوان ابن الرومي إنما طالعنا النسخة التي نشرها صديقنا الأديب الكبير الأستاذ كامل كيلاني ، أذاعها على الناس أيام الشباب والفراغ ، يوم انصرف هو للأدب ، وانصرف غيره للاذ الحياة وأطايبها . فإذا اقتنص له الكاشحون بعض المآخذ فحسبه أنه كان أول المتصدين لعمل لا يقدم عليه سوى المغامرين الشجعان .

(الرمل) **منصور جاب الله**

لجنة النشر الفلسفية :

تكونت هيئة من بعض خريجي قسم الفلسفة بجامعة فؤاد الأول قوامها الأساتذة : أنور فريد ، وسعيد زايد ، ومحمد إمام الحوت ، ومحمد محمد وهبه ، باسم « لجنة النشر الفلسفية » ، تهدف إلى نشر الدراسات الفلسفية التي ترتبط بحياتنا الواقعية ارتباطاً وثيقاً ، وذلك عن طريق ترجمة وتأليف بعض الكتب وإذاعة بعض المحاضرات . وستظهر باكورة أعمالها قريباً ، وهي ترجمة سلسلة الكتب السيكلوجية التي تصدرها مجلة « بسيكلوجست » تحت عنوان « Practical Psychology Hanolbooks » .

حـــازم ... !

للأستاذ عدلى طاهر نور

— ١ —

— حنان !

— ماذا ياحازم ؟

كانت حنان مستلقيـة على العشب تنظر إلى السماء بعينين حالمتين وقد شبكت يديها تحت رأسها لتتقى صلابة الأرض ، وسقط شعرها الفاحم متدرجاً على ذراعيها الناصعتين والخضرة الناضرة فأكسب تآلف هذه الألوان وجهها جمالا بارعاً ، وكان حازم مضطجعاً على جانبه بالقرب منها يعبث بالعشب وعلى شفتيه ابتسامة الذكرى .

مالت حنان برأسها قليلا لترد على نداء حازم بقولها : « ماذا يا حازم ؟ » فقال:

— هل تذكرين يوم تعارفنا ، حينما قدمت إليك فظللت ممسكا بيدك وقد بهرتنى صورتك وأذهلنى جمالك فلم يردنى إلى صوابى غير تخضب وجهك وتهكم الأصدقاء ؟ يا لها من لحظة لا أنساها ! فقد تاه الطرف فى صفاء تقاسيمك ، لا يستقر على جمال حتى يجذبه جمال آخر . وهل تذكرين ذلك اليوم ، حينما ابتعدنا عن الأصحاب فوق المقعد تحت الصفصاف ؟ كم بقينا طويلا فى صمت عميق ، هذا الصمت الذى يخدر الحواس وينشط المخيلة ولا يقطعه غير اختلاس النظر لينذى الخيال . وتلك اللحظة ، هل تذكرينها يا حنان ؟ تلك اللحظة التى تقابلت فيها عيناناً فحاول كل منا أن يحول نظره ولكنه ما استطاع . فقد شخص بصرانا وتخضب وجهانا من المفاجأة ، ثم ابتسمنا فكانت الابتسامة إذناً بالكلام .

أغمضت حنان عينيها تستعيد الماضى وقد أشرق وجهها بنشوة الذكرى ، وامتلأ صدرها بلذة الرؤية . وصمت حازم وعاد يعبث بالعشب ويستنشق النسيم الملىء بالذكريات ، وهاج قلبه بالحب فنطق يقول :

— لا شك يا حنان أن حبى لم يخف عليك . و ما فى ينبض بالعاطفة . ولكن هل تعلمين قدره ؟ إن تأسر الرجل بجمال خلقها أو حسن خلقها ؛ وأنت يا قد جمعت الجمال كله . ويزيد فى ولهى ما بك من سمو ساذج ي من القلب . فلست كمن شاهدت من النساء يتصنعن السم نظرة أو لفتة أو مشية ، فلا يعدو الأمر الظاهر . إن ما بك فضائل يا حنان يسحر لبى ويملك قلبى .

فاعتدلت حنان وعيناها تفيضان حباً ، وقالت وص يصوّحه الوجد :

— وأنت يا حازم . أما تعرف أنك سيد قلبى ؟ لست أ فصاحتك فأصف لك حبى ؛ ولكنى أشعر ... أشعر أنك شىء فى حياتى ؛ فطيفك يلازمنى فى يقظتى وأحلامى . و لأمرض ليعدك وأسعد بقربك . آه يا حازم إن حبى لك لعظ

— إن روحينا ياحنان قد امتزجتا ؛ فما من قوة تفرق بي أنا سعيد يا حنان . وما أستطيع أن أكتم سعادتى فانا أرد لكل ما حولى ، للشجر والطيور ، للقمر والنجوم . وأوحى إلى كل من يصادفنى فتنبسط الأسارير وتبتهج الأنفس . ما أ الحياة إذا ملأها الحب والسعادة معاً ... وسكت حازم فجأة بدت فى عينى حنان سحابة حزن انحدرت دمعاً . ولم يلبث أن صا

— حنان أنت تبكين ؟ بالله أما تفصحين ! فكم لمحت الشجن يكسر طرفك ويؤلم قلبى . ولكن غمرة السعادة جا فما كان ألى يدوم أطول من خفقة ، والآن أنت تبكين فما أستط صبراً . بالله يا حنان ما ذا بك ؟ حدثينى .

لم تستطع حنان أن تغالب الدمع فقامت تجرى وارتمت مقعد قريب تذرف العبرات . وأسرع حازم وراءها وجلس بجا يجفف دمعها ويخفف تأثرها : أنا آسف يا عزيزتى ؛ فما أردت أثير ذكرى أو أنكأ جرحاً . وإنما ظننت أن الافضاء بذا الصدر يرفع عن النفس الحمل . هيا يا حنان . انسى كل شىء و تفكرى فى غير حبنا وسعادتنا .

فأجابت حنان على الفور: « لا ياحازم ، يجب أن تعلم . فأنا ولكن البكاء غلبها فلم تنبس بغير شهقة . فمدت يدها إلى حقيبة وظلت تبحث فيها وهى لا تستطيع الكلام ولا تنقطع عن البكـ

حتى أخرجت (دبلة) ذهبية وضعتها فى بنصرها الأيسر . وكان حازم يتبعها بنظره مشدوهاً ، لا يعى ما تفعل ؛ ولكنه سرعان ما صرخ فزعاً : « أنت ياحنان . أنت ! » فأجابت بحزن عميق : « نعم ياحازم . تلك مشيئة القدر » وساد سكون طويل أثقله صمت الطيور كأنها أشفقت من التغريد على قلبين يتعذبان . ساد السكون فبدا صوت حازم المتصاعد ناجماً يرسل القشعريرة إلى البدن . لمَ يا حنان ؟ لمَ تركتنى أتدله فى حبك ؟ لم هذه القسوة ؟ ثم أمسك بيدها متوسلا: « قولى إنك تمزحين . قولى إنك لم تتزوجى. قولى لى أى شىء غير ذلك » . ولكن أصابعه لمست الدبلة فجذب يده بشدة وابتعد عنها قليلا وهو ينظر إليها نظرة الحزن والغضب والحب الخائب .

واندفعت حنان تقول : « أنا شقية يا حازم . فلا تقس علىّ ولا تزد فى شقائى . آواه ! لو علمت كم قاسيت ، وصبرت حتى مل الصبر . أرهف الله حساسيتى إلى حد المرض فلم أنعم فى دنياى بسعادة . وكان شغفى بالمطالعة منذ فجر شبابى طريقاً إلى الشقاء ، فقد غذيت عقلى وقلبى بأعلى المثل وأجل الأحلام . فكانت صدمة الواقع قاسية وتبدد أوهامى مؤلماً. وغشينى هم من الناس فأخلدت إلى العزلة وانطويت على نفسى حتى أذوانى السقم وشفنى الهزال . وأزعج أمرى والدىّ ففزعا إلى الأطباء يرجوان لى علاجاً ، ولكن هيهات أن ينجع دواء الجسد فى شفاء النفس ، فقررا آخر الأمر أن يزوجانى . واستقبلت حياتى الجديدة تهدهدنى الآمال وتغمرنى الأمانى ؛ فقد كان قلبى يهفو إلى دار هانئة يرعاها زوج حنون ويهجها أطفال عزاز ؛ ولكن جدى العاثر كان يلاحقنى فكنت كالظمآى فى صحراء ، أنشد السعادة وهى سراب .

أحببت زوجى لطيبة أخلاقه ، ولكنه كان يقتل حبى باعراضه ؛ فقد طغى عشقه لعمله على كل عاطفة . وما كان يعنى بى أكثر من عناية الثرى بتحفة تجمل بهو منزله . والله أعلم كم حاولت أن أوجد لنفسى فى حياته أثراً ؛ ولكنه ساعده الله كان يعتقد أن سعادة المرأة أن تنعم بفاخر الزينة وأن تفوز بحرية التصرف . فنسى أن الزواج ألفة يوحى بها الحب المتبادل ، وأن العشرة الخالصة لا تتحقق بغير صيانة هذا الحب . نسى أن الزواج شرّع للصحبة المشتركة والتعاون الوثيق فتصفو الروح وترقى الحياة . نسى أن ملاطفة المرأة والتودد إليها ليس مقدمة للزواج فحسب ، بل عاملا حيوياً فى علاقة الزوجين . آه لو حاول الرجل أن يخبر زوجه فيحقق لها أحلام الصبا وسعادة الشباب ، إذن لأحبته العمر ولظل سيدها الأوحد وسلطان قلبها المطلق ، ولكن الرجل وا أسفاه لا يحاول فهم المرأة وإدراك حقيقة نفسيتها ، ثم ينعتها بالبرود والأعراض ، ولا يلبث الزواج أن يصبح واجباً يؤدى . وهكذا عشت مع زوجى لا أحبه ولا أستطيع أن أكرهه . عشت معه بقلب يغص بالخيبة والحسرة .

ولم يقف عذابى عند هذا ، ولم يغفل القدر عنى . ففقدت والدىّ واحداً بعد آخر . ففقدت معهما قلبين كانا يعطفان علىّ ويخففان عنى قسوة الحياة ، وشعرت باليتم يهصر قلبى والوحشة تفجع نفسى . ثم كانت صديقاتى ؛ فقد كن يرون لى بعضاً من حوادث لهن ليخففن عنى . فكان شعورى بهذا الفضاء الذى أحدثته النوائب فى نفسى يشتد وينتشر . ولم ألبث أن ضعفت يا حازم تحت إلحاح صاحباتى ، فانطلقت معهن ذلك اليوم إلى حيث قابلتك . فكنتُ أنا الزهرة الذاوية ، وكنتَ أنت القطر الباعث . وساقنى القدر فى طريق الحب فلم أفكر لحظة ، ولم أتب إلى نفسى إلا بعد أن أحببتك . ولم أقو على الإفضاء لك بزواجى ، بتعاستى ياحازم .

وغلبها البكاء فانقطعت عن الكلام . وصاح حازم وهو يكفكف دمعه : « مسكينة يا حنان ! »

— ٢ —

مضى كل منهما فى سبيله مكسور الفؤاد . وعادت حنان إلى عزلتها وقد حرك اليأس رماد قلبها وأهاج لهيب شجنها . وكانت تعمد ، حينما يشتد بها ألم الشوق إلى الذكريات تلتمس منها عزاء ضن به عليها العالم الخارجى ، فتصبح كصريع المخدر تقاسى بعد لذة قصيرة وسعادة واهية أشد الآلام . وكان أكثر ما يعذبها شعورها بما يكابد حازم من اضطراب نفسى بعد هذا الحادث ، ويأسها من حيل لموقفها البائس . فما كانت تستطيع أن تهجر زوجها لطيبة قلبه ، وقد همت بذلك خضوعاً لحبها الجارف لولا أن خشيت لوم حازم فانتظرت أن يخطو هو الخطوة الأولى واستسلمت فى انتظارها لحزن داهم وعزلة شديدة .

وعاد حازم وهو لا يفكر فى غير اعتراف حنان ، ورأسه يدق بالحقيقة القاسية ، وقلبه يخفق بحبه الشديد . وكان كل عصب فيه ينبض بقوة كأنه يصيح : إنها متزوجة ! ومضت أيام قبل أن يسكن هذيانه ويروق ذهنه . ثم لم يلبث أن اختلى بنفسه فى محرابه وهو يرتعد لجاجة قلبه لعقله . كم كان يود أن يفر فى هذه الساعة الحاسمة ، ولكنه كان يشعر بقوة خفية تدفعه إلى مكتبه

أخذ يراجع حديث حنان وهو يقطع الغرفة بخطوات واسعة وقد وضع يديه خلف ظهره وطأطأ رأسه لشدة التفكير . كان عقله الرشيد وتربيته القويمة قد حصنا نفسه ؛ ولكن قلبه كان قويا بالحب ملتهبا بالشوق . فكان الصراع بين ضميره وعواطفه عنيفا . كان ضميره يثور تارة وقلبه يطغى أخرى ، ونفسه بين هاتين القوتين حائرة معذبة .

كان يحدث نفسه قائلا : « ماذا دهاك يا حازم ؟ كيف تخلد إلى هذا الوسواس فيحرضك على الشر ، وتثابر على هذا الحب فتسلب بريئا امرأته ؟ كيف تقدم على هـــذا الأمر فتنقلب شيطانا يحث على المعصية ويهدم بيتا هادئا ؟ كيف تحل رباطا مقدسا وتقطع صلة طاهرة فتحقر نفسك وتفقد عزتك ؟ ثب إلى رشدك وعد إلى جهادك . فحذار حذار أن تستسلم لعواطفك . فالعاطفة المطلقة كالسيل ، أوله انقضاض يجرف ويقتلع ، وآخره نضوب وقحط . وقد وهبنا الله العقل لنقيمه سدا يحبس تلك القوة الطاغية وينظم تصريفها . إن حنان ليست لك يا حازم ... »

ووقف حازم فجأة وضرب كفه بقبضته صائحا : « يجب أن تنساها » . وتابع سيره وهو يكرر تلك العبارة بتؤدة ويقطعها ليوحي إلى نفسه معناها ويملي عليها إرادته . ولكن أنى لعقله أن يثبت ولم يكن أمر حبه مشكلة دارجة ؟ فهو لم يكن يعرف الحب من قبل . أما وقد نزله فقد أصبح الأمر مشكلة حياته . فكان قلبه المضطرم يصهر عزيمته ويشوش منطقه ، وحبه المتدفق يخنق ضميره ويذهب بصوته فلا تلبث نفسه أن تصيح :

« تباً لك ياحازم! مادمت عبدا لعقلك فقد تحرم الحياة ومتعها وتعرض عن الحب ، فيطغى العقل وتنضب النفس ويفسد الذوق وتنقطع صلتك بالحياة . لا يا حازم . لا تفعل ذلك ! إن حنان لك ، فالأقدار لم تجمعكما عبثا . إنه نداء القلب فأنت تلبيه ، وماء الحياة فأنت ترشف منه . وكيف يقبل عقلك أن يعيش زوجان بلاحب ويأتلف قلبان بلا تمازج ؟ إن حنان لك يا حازم . ولك وحدك .

كان حازم يجد في حديث نفسه لذة عظيمة ، ولكنها لذة يكدرها صوت الضمير الذي يأبى أن يخضع فيعود ويرتفع من الأعماق : « حذار حذار أن تسلك هـذا الطريق » . فكانت نفسه كرمال الشاطىء بين كر الأمواج وفرها لا تهدأ ولا تستقر . كان حبه قويا ، ولكن عقله كان يقظا وضميره حيا . ولهذا كان حزينا برما . فهو لا يستطيع أن يعود إلى حنان ، ولا أن يبتعد عنها وبينما هو في عذاب اليأس والتردد ، إذ فاجأ نفسه بهذه الهمسة : « مسكينة يا حنان ! » . وكان يكرر تلك العبارة ولا يفطن بادىء الأمر إلى معناها . ولكن سرعان ما قفز من كرسيه حيث أقعده الأعياء ، وهو يهتف : « نعم ! مسكينة يا حنان » ألم ينطق بتلك العبارة من قبل عند ما قصت حنان عليه قصتها المحزنة ؟ ألم تذرف حنان وقتئذ دموع الشقاء بين يديه فأرمضت قلبه ؟ إذن كيف يتركها تذبل وتتعذب؟ كيف يقتلها بالهجر وهو لم يقس قط؟ كيف لا يعطف عليها ويؤنس وحدتها ؟ إن في حبه لها صداقة ، والصداقة عاطفة تجمع بين القلب والعقل . أليس من واجب الصديق أن يعين صديقه ؟

ملأت الشفقة نفس حازم بغتة . وقد أثارها الحب ليستعين بها على العقل ؛ فما كانت هنا غير قناع لبسه الحب فجأة فشل العقل وأسكت الضمير . والحب قد يأتي بالمعجزات .

وخف حازم إلى حنان يتمتعان بسعادتهما السابقة فيركبان سيارته ويتنقلان بين الرياض ، فتستلقي حنان على الأعشاب الغضة تنظر إلى السماء بعينين حالمتين ، ويضطجع حازم على جانبه بالقرب منها ، تعبث يداه بالأزهار ويشع وجهه بالغبطة .

— ٣ —

وحدث ذات يوم أن قام حازم وحنان برحلة من رحلاتهما العزيزة إلى ضواحي القاهرة ، ودهمهما الليل في طريق العودة . وكان الليل مقمرا ، فأغراهما جمال الطبيعة بالبقاء حيث كانا على شاطىء النيل .

كان القمر يسيل رقة تلين الأبدان ، وكانت أشعته تهبط على المياه كقبلة العاشق على كتف حبيبته فتسري فيها رعشة لذيذة وتهز لها اهتزازاً لطيفا . وكان هـذا الاختلاج يسحر الناظر ويهدهد عقله فيغوص في هذا المزيج من الأشعة والماء .

وكان السكون رائعا يقطعه بل يزيده صفير الصرصور المتتابع فتؤثر وحدة الصوت المتواصلة في المرء ، فتصيبه غشية هادئة ترفعه إلى عالم الأحلام ، ويزيد نشوته عطر ثقيل من الزهور المختلفة ينتشر الى جسمه فيثقل تفكيره وأطرافه .

كانت الطبيعة تنشد نشيدها الأبدي في معبدها الساجي ، وقد أطلقت بخورها العبق ، ولبست حللها الفاخرة ، فيتصاعد الى السماء تآلف من الأصوات والعطور والألوان ، ينعقد سحبا رقيقة لازوردية رنانة تخلع على الأرض غموضا مقدسا ، يحير البشر فيعتريهم الخشوع ويغشاهم الوجوم .

وكانت حنان مستلقية على العشب ، وقد أكسبها القمر شحوبا عاجيا ليس فى الانسان ، وجمالا مبهما ليس على الأرض ولا فى السماء ، جمالا يتصوره الشاعر فى مخيلته ويعبده فى خلوته كلما تردد عليه وتراءى له . وكان حازم مضطجعا الى جانبها بقلب الطرف فى جمالها وقد سابته الفتنة كل إرادة ، وأثار الوجد كل حواسه . وتحولت حنان بنظرها إليه فتلاقت عيناهما وشخص بصراهما ، وكان ينبعث منهما بريق ساطع متدفق لم يلبث أن هدأ ورق . وفى همس يقطعه الهيام امتزج اسماهما : حازم ! حنان ! والتقت شفتاهما فى قبلة حارة طويلة . كانت عواطفهما كحمم البركان تصعد من الأعماق متراخية ملتهبة ثم تفيض فتنحدر بشدة كاسحة . وفى ذلك الوقت اختفى القمر وراء سحابة كثيفة كبيرة . وفى تلك اللحظة التى ينسى الانسان كل شىء غير أن الطبيعة حبته بقوة عاطفية جامحة ، فى تلك اللحظة التى تطغى فيها حرارة القلب على قدرة العقل ، فى تلك اللحظة لبيا نداء الجسد . إنهما من جسد ، والجسد ضعيف والهوى غلاب ، فكيف يعدمان الشهوة ؟ كان عقلها فى يقظتهما راجحا ؛ ولكن الطبيعة خدرت ذلك الحارس ، فتنفست الشهوة المكبوتة ، وكانت تعمل فيهما خفية والعقل يحجبها ، فجهلاها حتى نمت واشتدت فتحركت وغلبت

وظهر القمر ومر أحد المسس يقرع بنعليه الطريق ، فاستيقظ العاشقان من حلمهما اللذيذ وتبينا أمرهما مضطربين : وما أقسى أن ينقلب المرء من حال إلى آخر بلا انتقال . فاستولى عليهما الوجوم والحيرة ، وفرق الخجل بينهما لحظة طويلة قطعها حازم بعد جهد بقوله :

— إن الليل قد تقدم ، فدعينى أصحبك إلى منزلك .

ولم تجب حنان بغير نظرة مبهمة ، وقامت تخطو وئيدا إلى السيارة ، وأدار حازم المحرك وسأل :

— أين تسكنين ؟

ولم يكن حازم يعرف حتى ذلك الوقت مسكن حنان إذ كانت بعد كل لقاء تفضل أن ترجع وحدها . وأجابت حنان :

— فى الدقى ، سأبين لك الطريق .

— ٤ —

واندفعت السيارة إلى منزل حنان . فكان حازم يشعر كلما توغل فى السير أن الطريق مألوف . ولكن هذا الشعور لم يتعد طبقات نفسه الأولى فلم يلتفت إليه تماما ، حتى أشارت حنان بالوقوف . وبينما هو يودعها وتمر نظره على منزلها فثبتت عيناه فى محجرها وتملكه فزع شديد ؛ فصاح بصوت قلق يكاد يسمع :

— أنت ... تسكنين هنا ؟

فأجابت حنان وقد راعها حاله :

نعم ! ولكن ما ذا بك ؟ هل رأيت شبحا ؟

ولم يجب حازم وانطلق إلى مسكنه بأقصى سرعة . كان همه الأول أن يبتعد عن هذا المنزل ولكن صورته باتت تلازمه وتزيد فى عذابه . فكان يهمس : رحماك يا إلهى . فما أقسى العقاب !

كان منزل صديقه أحمد ، فكانت حنان إذاً زوج صديقه ... وكان أحمد لا يجتمع بأصدقائه كثيرا لشغفه بالعلم وانقطاعه له ، ولكنهم كانوا يكنون له الحب والاحترام لدماثة خلقه وكرم طباعه . وهذا هو حازم ، يالقسوة القدر ، يكتشف أنه كان يخون صديقه فينقض عهد الصداقة . كأن يخونه فى عرضه . والعرض كيف يلأم صدعه ... آه . لو استمع إلى صوت عقله !

كان حازم يفكر فى ذلك فيحز الألم فى نفسه . كانت الصدمة عنيفة أودت بكل عاطفة أثارها الحب . فما وجد لفعله عذرا ولا لضميره ردا . وساد ضميره وقام يؤنبه بعنف ويلاحقه بشدة ، ونفسه قد خلت من كل توازن يقيه شر الاختلال . كان صوت الضمير يتبعه وصورة صديقه لا تفارقه ؛ فلم يستطع البقاء فى مكانه وخرج يهيم على وجهه فى الطرقات . ولكن الصوت كان يطارده فيعدو المسكين هربا منه ، فيملأ أذنيه ، فيسرع فى الجرى حتى يصرعه التعب ، فلا يلبث طويلا حتى يبدو له وجه صديقه يشخص إليه فى حزن وأسف ، فيعود إلى الجرى ليسقط مرة بعد مرة حتى خر على الأرض مغشيا عليه .

وأشرقت الشمس وقامت الطيور تعلن قدوم الصباح ودبت الحياة فى الكون ، ووقف الشرطى يتأمل جسما طريحا وانحنى يهزه ليتبين أمره ؛ فانتفض النائم وجلس لحظة ورأسه بين يديه ، ثم نظر إلى الجندى المستفهم نظرة بلهاء ولم يلبث أن نهض مسرعا وهو يهمهم بكلام لا يفهم .

إنه كان حازما الرقيق . صرعته الصدمة فاختل عقله ، وأصبح يكفر عن خطيئته . كان ملكا فى وحدته فسولت له النفس أن يهبط إلى الأرض ؛ فتدهور من العلياء وعاد آدميا تسوده الغرائز الشهوانية والرغبات الدنيئة ، واقترف الخطيئة فاستحق العقاب ، والسماء لا تغفر لملك هوى .

عبد الله عبد القادر نور

من ذكريات الشباب

سقط بعض السطور من مقدمة القصة الثانية (اجترار) المنشورة في العدد الماضي للأستاذ حبيب الزحلاوي فرأينا إعادة نشرها .

« حكايتي أيها الأصدقاء تدور حول الأثر الذي تركته حوادث الجهاد الوطني في نفسي ، لاحول أبلغ حادث حدث لي :

كنت أتوقع عندما عينت ضابطاً في الجيش أن ألقى مشاكسة من زملائي الفرنسيين وتعالياً على الضابط « العربي » ، فوطدت النفس على التمسك بالكرامة مع السلامة واللطف

نجحت بعض النجاح في السير على منهاجي ، وكنت أفشل في قطع ألسنة أولئك الضباط عن القدح في قوى وسب « السوريين القذرين » ، ولا سيما حينما كانت تضمنا مائدة شراب ، ولم يكن يند عنهم إلا ضابط من رتبتي كان يقف دائماً في وجه أولئك القادحين ، فيصدهم عن المضي في طعن الأمة العربية إكراماً لي : « أنا زميلهم الضابط الكيس وللخلصاء الذين عرفناهم من السوريين » . فكان أولئك الضباط الأجلاف ينحرفون عن الموضوع ، ناسبين ذلك إلى ما يلاقون من الشعب من كراهية وبغض ، وكان ذلك الضابط — نصر الله وجهه — يدافع عن حق السوريين ، وينعت حكام قومه بالطيش والهوج في مد حكمهم وبسط سلطانهم على شعب لا تنقصه خصيصة من خصائص الاستقلال ، ولا تحوجه الدراية بتحمل المسئولية الاجتماعية ، ولا الوعي القومي ، فقد استمد مزاياه من تاريخه العربي ومن الانقلابات التي تأثر بها في مطلع هذا القرن ، وكان يقول :

« لقد أيقظنا نحن الفرنسيين نفوس الشعب السوري ذاته بتلقينه في مدارسنا مبادئ ثورتنا للحرية والمساواة وتعاليمنا فن الحياة ، وكان يساير زملاءه في الطعن على الدهماء في كل الأمم ، لأنهم يتساوون والسوائم في إرضاء شهواتهم وتسكين معدهم ، ولا فرق في طوائف العامة بين شرقي وغربي وبين ألوان وأجناس.

وكان كلام ذلك الضابط الأريب يشجعني على إبراز فضائل قوى الأصيلة والمكتسبة ، وعلى إبداء الرأي أيضاً في الوسائل التي قد تقرب بين الحاكم والمحكوم» اشتعلت نار الثورة في جبل الدروز ، وسرعان ما امتدت ألسنتها إلى دمشق فدينة حماه . جن جنون الفرنسيين ، فأمر قائدهم الأرعن الأعلى بإطلاق المدافع تدك قذائفها أحياء دمشق ، وانطلق أجناد الجيش في « حماه » يمعنون في قتل الناس وإحراق بيوتهم ومزارعهم . كانت أخبار الثورة في كل ميدان تصلنا بالميعاد ، عرفنا عما حل بحملة الجنرال « ميشو » وكيف مزقها أبطال الدروز شر تمزيق ، وعرفنا أيضاً بفزع زهرة شبان دمشق من طلاب المدارس العليا يلتحقون بثوار الغوطة ، وهكذا كانت أخبار إخواننا الثائرين في داخل البلاد من نساء ورجال ، وأخبار رجال السياسة منا البعيدين عن مواطن الخطر تصلنا منبئة بقيامها كلها متساندة متضافرة تعمل لجعل هذه الثورة هي الأخيرة للخلاص التام من حكم الأجنبي المستعمر

عملت ما في وسعي لأقنع الأجناد الوطنيين تحت إمرتي أن تهرب بسلاحنا وميرتنا للالتحاق بإخواننا المجاهدين لتحرير الوطن وقبل ابلاج الصبح كانت دوابنا المثقلة بالأحمال على بضعة كيلومترات من مرابط الثوار ، والفضل في هربنا يعود إلى زملائي الضباط الذين أثقل « الحشيش » أدمغتهم تلك الليلة ...

... في منتصف ليلة من الليالي ، سرنا بطوائف منظمة من الثوار نقطع الطريق على حملة من الفرنسيين جاءت لتطويقنا من ناحية الشمال . بلغنا الموقع الذي قدرت أن الواقعة ستقع فيه ، ووزعت رجالي توزيعاً يوهم العدو بكثرة عددنا ، وأوصيت بعدم الإسراف في إطلاق الرصاص ليكون متواصلا ، ووقفت في مكان مرتفع مع بعض زملائي نرقب الموقعة ونديرها . لم أر ولم أسمع في حياتي عن موقعة التزم رجالها ضبط النفس والعمل بإقدام وشجاعة وحزم كتلك الموقعة التي كانت كأن الصخور والمتاريس وأكوام الحجارة ، هي التي تصد قنابل المدافع ، وهي هي التي تتفجر فتطلق النار فتصيب الهدف ، وكأن رجالنا الأبطال ليسوا من لحم ودم ، بل قدر محتوم ينزع أرواح المستعمرين إلخ .

حبيب الزحلاوي

كتاب الفصول والغايات

معجزة أبي العلاء المعري

لم تبق منه إلا نسخ معدودة

الثمن اربعون قرشاً

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلي بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والاقامة فى اللوكاندات

يتشرف مدير عام السكك الحديدية باعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة لوكاندات وجه قبلي وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية إبتداء من ١٥ يناير سنة ١٩٤٦ لغاية ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٦ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والاقامة فى اللوكاندات وتشمل هذه التذاكر الاقامة فى اللوكاندات يومين وليلة أو ٥ أيام و ٤ ليال أو ٧ أيام و ٦ ليال أو ١٠ أيام و ٩ ليال حسب الأثمان الموضحة بالتعريفة الموجودة بالمحطات وشركة عربات النوم والشركات المعتمدة لصرف هذه التذاكر .

أولا — تشمل أجرة التذكرة المشتركة ما يأتى : —

(ألف) أجرة السفر بالسكك الحديدية . (ب) أجرة المبيت بعربات النوم للدرجة الأولى فقط . (ج) أجرة المبيت باللوكاندات . حسب الأجور والثمن المخصصة لكل درجة سواء أولى أو ثانية .

ملاحظة — يحصل بمعرفة اللوكاندات ١٠ ٪ خدمة و ٥ ٪ عوائد بلدية .

ثانياً — التخفيض فى أجور السكك الحديدية بنسبة ٢٧٫٥ ٪ من ثمن تركرتى الذهاب والاياب المفردتين . ثالثاً — كوبونات السكك الحديدية معتمدة لمدة ٢١ يوماً من تاريخ صرفها بمعرفة المحطات أو الشركات للسفر بها فى خلال هذه المدة ذهاباً وإياباً أي لغاية مساء اليوم العشرين وتم السفرية فى اليوم الحادي والعشرين أى أن السفرية في الذهاب والاياب لا تجاوز الـ ٢١ يوماً من تاريخ صرف التذكرة بأى حال من الأحوال والتذاكر التى تصرف فى المدة من ١٠ إلى ٣٠ أبريل تنتهى جميعها فى ٣٠ أبريل . رابعاً — مصرح لحاملى هذه التذاكر التخلف بمحطات البلينا وقنا لركاب الأقصر ومحطات الأقصر وإسنا وأدفو وكوم امبو أيضاً لركاب أسوان حسب الموضح على كوبونات السفر، كذا التخلف بمصر للركاب القادمين من الاسكندرية أو بور سعيد أو بور توفيق . خامساً — على المسافر أن يقدم كوبون السكة الحديد للمحطة التى يسافر منها سواء فى الذهاب أو الاياب لختمها برقم وتاريخ القطار المزمع السفر به كل مرة وإلا تعتبر تذكرته لاغية ويلزم حاملها بدفع أجرة السفر والغرامة طبقاً لقانون المصلحة . سادساً — لا يمنح أى تخفيض فى أجور السكك الحديدية من الأقصر لأسوان لحملة التذاكر المنصرفة للأقصر فقط . وإذا رغبوا التوجه لأسوان يجب دفع الأجرة بالكامل .

سابعاً — بما أن المحلات الموجودة بعربات النوم واللوكاندات محدودة فيجب حجز هذه المحلات مقدماً بواسطة شركات السياحة أو تعهد الركاب أنفسهم . وعلى حاملى تذاكر الدرجة الأولى استبدال تذاكر عربات النوم قبل السفر من مكاتب شركة عربات النوم أو مكاتب الحواجة كوك وولده بكوبون مبينا به تاريخ السفر ورقم محل النوم المحجوز . ثامنا — إذا تصادف عدم وجود محلات بعربات النوم أو اللوكاندات وأقام الركاب باللوكاندات بأقل فئة فيجوز مطالبة اللوكاندات بالفرق وكذا شركة عربات النوم بمحطة مصر بأجرة النوم يمكن الحصول على هذه التذاكر من الجهات الآتية :

محطات مصر والاسكندرية وبور سعيد وبور توفيق وشركات السياحة المعتمدة وشركة عربات النوم وتوماس كوك وولده .

تاسعا — يجوز رد أثمان هذه التذاكر فى حالة عدم استعمالها أواستعمال جزء منها إذا تقدمت للمحطات فى خلال مدة اعتمادها بطالبات (تقدم من أصحابها للمحطات لتحويلها) للمراقبة لاجراء اللازم نحوها .

ملاحظات : (١) يجوز لحاملى كوبونات عربات النوم السفر بها فى عربات صالون بولمان عند سيرها بين مصر والأقصر فى الذهاب أو الاياب بدون تحصيل أو رد أى فرق . (٢) كوبونات السكك الحديدية المشتركة من بور توفيق إلى الأقصر أو أسوان وبالعكس يجوز استعمالها عن طريق الاسماعيلية أو الخط الصحراوى بدون تحصيل أى فرق . (٣) لزيادة الايضاح يستعلم من المحطات الموضحة أعلاه .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)